

**Humanities and Educational
Sciences Journal**

ISSN: 2617-5908 (print)



**مجلة العلوم التربوية
والدراسات الإنسانية**

ISSN: 2709-0302 (online)

المضامين العقديّة في أحاديث الظن بالله تعالى (*)

<https://doi.org/10.55074/hesj.vi57.1982>

أحلام بنت محمد بن سعد الوادي

الأستاذ المشارك في قسم العقيدة

كلية الدعوة وأصول الدين

جامعة أم القرى - المملكة العربية السعودية

amwdy@uqu.edu.sa

تاريخ قبوله للنشر 30/5/2026

<http://hesj.org/ojs/index.php/hesj/index>

(*) تاريخ تسليم البحث 2/3/2026

(*) موقع المجلة:

العدد (57)، شهر نوفمبر 2026م
Issue (57) November 2026

440

مجلة العلوم التربوية والدراسات الإنسانية
Humanities and Educational Sciences Journal

المضامين العقيدية في أحاديث الظن بالله تعالى

أحلام بنت محمد بن سعد الوادي
الأستاذ المشارك في قسم العقيدة
كلية الدعوة وأصول الدين
جامعة أم القرى - المملكة العربية السعودية

المخلص

يتناول هذا البحث المضامين العقيدية في أحاديث الظن بالله تعالى، وقد اعتمد البحث على المنهج الاستقرائي، والتحليلي الاستنباطي في جمع النصوص، وتطرق إلى بيان مفهوم الظن، ومعانيه في القرآن الكريم، والتعريف بالمضامين العقيدية المتعلقة به، مع إبراز المعنى الإجمالي لأحاديث حسن الظن بالله تعالى، وأقسام الظن بالله، واستنباط أبرز المضامين العقيدية المتعلقة بالأحاديث، وقد خرج البحث بعدد من النتائج، منها:

- ١- أن أحاديث الظن بالله تضمنت إثبات عددٍ من صفات الله تعالى؛ كالمعية، والقرب، والرحمة، والمغفرة.
 - ٢- إن حسن الظن بالله مرتبط بالإيمان بأسماء الله تعالى وصفاته، ولا يتحقق إلا مع معرفة العبد بربه معرفةً صحيحة.
 - ٣- إن سعة رحمة الله، وعظيم مغفرته من أبرز المضامين العقيدية في أحاديث الظن بالله تعالى. ومن أهم توصياته:
 - ١- تعزيز مجال أعمال القلوب في المناهج الدراسية والدروس العلمية؛ لما لها من أثر عظيم في ترسيخ العقيدة الصحيحة والسلوك الإيماني.
 - ٢- توظيف المضامين العقيدية في أحاديث حسن الظن بالله في معالجة مظاهر الانحرافات الفكرية المعاصرة.
- الكلمات المفتاحية: الظن بالله تعالى، العقيدة، المضامين العقيدية.

Theological Themes in the Hadiths Concerning Having Good Expectations of Allah Almighty

Ahlam bint Mohammed bin Saad Al-Wadi

Associate Professor, Department of 'Aqeedah (Islamic Creed)
College of Da'wah and Fundamentals of Religion

Umm Al-Qura University
Kingdom of Saudi Arabia

Abstract

The research discussed the doctrinal implications of hadiths concerning having good thoughts about Allah. It adopted the inductive, deductive and analytical approaches and addressed the concept of "Thought", its meanings in the Quran and introduced the related doctrinal implications.

It highlighted the meaning of hadiths about having good thoughts about Allah, categorized such thoughts and extracted the prominent doctrinal implications. The findings included: that hadiths about having good thoughts about Allah affirm several attributes of Allah, such as His presence, nearness, mercy and forgiveness; that having good thoughts about Allah is linked to belief in His names and attributes and can only be achieved through a servant's correct knowledge; and that the vastness of Allah's mercy and the immensity of His forgiveness are among the prominent doctrinal implications of hadiths about having good thoughts about Allah.

One of the prominent recommendations is to strengthen the focus on the inner workings of the heart in school curricula and academic lessons, given their significant impact on establishing sound doctrine and faithful conduct. The application of doctrinal principles found in hadiths about having good expectations of Allah in addressing contemporary intellectual deviations.

Keywords: Good Thoughts about Allah, Doctrine, Doctrinal Principles.

مقدمة البحث:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وسلم تسليمًا كثيرًا، أمَّا بعد:

فإن العقيدة هي الأساس لبناء شخصية المسلم، وفي ضوءها تستقيم رؤيته للكون والحياة، وتتصَّحَّح بها علاقة العبد بربه، وبنفسه، وبمن حوله، وهي الموجه للسلوك، والضابط للفكر، وهي التي تعينه على الثبات والسكينة عند تقلبات الحياة، وكلما كانت العقيدة راسخةً في الجنان، واضحةً منضبطة في أصول التلقي، ظهر نفعها، وعمَّ خيرها حياة المسلم وعلاقاته.

وقد جاءت السنة النبوية مفصلة لما ورد في كتاب الله تعالى من أركان العقيدة ومضامينها، ومكملة ومؤكدة، فهي المصدر الثاني للمضامين العقيدية، بما تحمله من تطبيقات عملية، وتوجيهات تُجسِّد العقيدة في سلوك المسلم. وإن الظن بالله تعالى من أعظم مقامات الإيمان، ومضامين العقيدة، وقد وردت بعض الأحاديث النبوية التي تظهر مكانته، وتبيِّن أثره في حياة المسلم، وتكشف عن علاقته الوثيقة بالتوحيد، ذلك مما يستدعي دراسة أهم الأحاديث الواردة فيه دراسة عقيدية، فجاء هذا البحث تحت عنوان: (المضامين العقيدية في أحاديث الظن بالله تعالى).

أهداف البحث:

- ١- توضيح مفهوم المضامين العقيدية في أحاديث الظن بالله تعالى.
- ٢- بيان المعنى الإجمالي لأحاديث الظن بالله تعالى.
- ٣- تعريف الظن، والمضامين العقيدية في اللغة والاصطلاح.
- ٤- توضيح أقسام الظن بالله تعالى.
- ٥- استنباط المضامين العقيدية من أحاديث الظن بالله تعالى.

أهمية البحث وأسباب اختياره:

- ١- الكشف عن أثر السنة في العقيدة، باعتبارها المصدر الثاني من مصادر التلقي.
- ٢- الحاجة إلى إبراز قضايا العقيدة في أحاديث الظن بالله ليصحح المسلم علاقته بربه، ويسير وفق هدي نبيه صلى الله عليه وسلم.
- ٣- أهمية فهم مضامين أحاديث الظن بالله تعالى لما يترتب عليها من مسائل تخص المسلم في الدارين.
- ٤- عدم وجود دراسة عقيدية مستقلة تناولت بيان المضامين العقيدية في أحاديث الظن بالله تعالى.
- ٥- إثراء الجوانب التطبيقية المتصلة بالسنة من خلال الكشف عن المضامين العقيدية المستفادة منها؛ وبخاصة ما يمس الأعمال القلبية.

الدراسات السابقة:

بعد البحث والتحري لم أجد دراسة علمية قد أفردت أحاديث الظن بالله تعالى بالجمع والتحليل العقدي، وإن كان الكلام عن الظن بالله تعالى موجوداً في كتب شروح الحديث، وبعض الدراسات التي اعتنت بالحديث عن الظن بالله على جهة العموم، وأهمها:

١ - حسن الظن بالله، لعبد الله بن محمد، المعروف بابن أبي الدنيا، تحقيق: مخلص محمد، دار طيبة، (١٤٠٨هـ/١٩٨٨م).

٢ - إحسان الظن بالله تعالى والتحذير من اليأس والقنوط من رحمة الله، لفهد بن سليمان الفهيد، كلية أصول الدين، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، (١٤٣٦هـ).

وهاتان الدراستان لم تتعرضا لاستنباط المضامين العقدية المضمنة في أحاديث الظن بالله تعالى؛ حيث اكتفت الدراسة الأولى - وهي عبارة عن كتاب - بسرد روايات حسن الظن بالله في الأحاديث النبوية، وعرض أقوال السلف، واكتفت الدراسة الثانية ببيان حكم الظن بالله تعالى واليأس والقنوط، وآثارها، وسرد بعض القصص في ذلك.

حدود البحث:

المضامين العقدية المستنبطة في هذا البحث ستكون من أحاديث الظن بالله تعالى.

منهج البحث:

اعتمد البحث على المنهج الاستقرائي، من خلال استقراء روايات الأحاديث من مظانها، وجمع المادة العلمية من كتب شروح الحديث، وكتب العقيدة، والمنهج التحليلي الاستنباطي، من خلال تحليل ألفاظ، وجمل الأحاديث، واستنباط المضامين العقدية منها.

خطة البحث:

يتكون البحث من مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة، وقائمة المصادر والمراجع. المقدمة، وفيها: أهمية البحث، وأسباب اختياره، وأهدافه، والدراسات السابقة، وحدود البحث، ومنهجه، وخطته. التمهيد، وفيه:

١ - تعريف الظن في اللغة والاصطلاح.

٢ - معاني الظن في القرآن الكريم.

٣ - مفهوم المضامين العقدية.

٤ - المعنى الإجمالي لأحاديث الظن بالله تعالى.

المبحث الأول: أقسام الظن بالله تعالى، وفيه قسمان:

القسم الأول: الظن الحسن بالله تعالى.

القسم الثاني: الظن المذموم بالله تعالى:

المبحث الثاني: المضامين العقدية المتعلقة بأحاديث الظن بالله تعالى، وفيه المسائل الآتية:

المسألة الأولى: حسن الظن بالله تعالى دليل على الإيمان.

- المسألة الثانية: حسن الظن بالله من أعمال الإيمان القلبية.
- المسألة الثالثة: إثبات صفة المعية والقرب جزاءً على حسب الظن.
- المسألة الرابعة: إثبات صفات الله الفعلية.
- المسألة الخامسة: الإيمان بسعة رحمة الله تعالى وعظيم مغفرته وجوده.
- المسألة السادسة: نيل محبة الله تعالى عند دوام ذكره.
- المسألة السابعة: عظم شأن التوحيد والبراءة من الشرك، وأن الذنوب لا تُخرج من الإسلام ما لم تكن شركاً.
- المسألة الثامنة: حسن الظن بأقدار الله تعالى وحكمته البالغة.
- المسألة التاسعة: علاقة الظن بالله تعالى بباب الصفات.
- المسألة العاشرة: العمل الصالح هو علامة حسن الظن بالله تعالى.
- الخاتمة، وفيها أهم النتائج، والتوصيات.

التمهيد، وفيه:

تعريف الظن في اللغة والاصطلاح:

الظن في اللغة:

مصدر، وله معنيان متضادان؛ يقين، وشك^(١)، فالأول: اليقين، نحو: ظننت ظناً، أي: أيقنت، إلا أنه ليس بيقين عيان، وإنما هو يقين تدبر، فأما يقين العيان فلا يقال فيه إلا علم^(٢)، فالظن قد يوضع موضع العلم^(٣)، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَّةٍ﴾ [الحاقة: ٢٠]، أي: علمت، وأما يقين التدبر فمثل قوله تعالى: ﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٤٩] أي: يوقنون^(٤)، والمعنى الثاني: الشك، يقال: ظننت الشيء، إذا لم تتيقنه، ومن ذلك الظُّنَّة: وهي التهمة، ومنه قوله تعالى: ﴿إِن تَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُصَدِّقِينَ﴾ [الجاثية: ٣٢]، والظُّنَّين: المتهم، والظُّنُون: السوء الظن^(٥)، ومظنَّة الشيء: موضعه ومألفه الذي يُظن كونه فيه، والجمع: المظان^(٦).

الظن في الاصطلاح:

هو الاعتقاد الراجح مع احتمال النقيض، ويستعمل في اليقين والشك^(٧).
وجاء في معناه أيضاً: أنه الطرف الراجح من التردد بين أمرين^(٨).

(١) ينظر: كتاب العين، الفراهيدي، (١٥١/٨)، مقاييس اللغة، ابن فارس، (٤٦٣/٣).

(٢) ينظر: لسان العرب، ابن منظور، (٢٧٢/١٣).

(٣) ينظر: الصحاح = تاج العروس وصحاح العربية، الجوهري، (٢١٦٠/٦).

(٤) ينظر: المصدر السابق.

(٥) ينظر: لسان العرب، ابن منظور (٤٦٣/٣).

(٦) ينظر: الصحاح، الجوهري (٢١٦٠/٦).

(٧) ينظر: التعريفات، الجرجاني، (ص: ١٨٧).

(٨) ينظر: الحدود الأنيفة، زكريا الأنصاري، (ص: ٦٧).

ويُطلق الظن بإزاء العلم على كل رأي أو اعتقاد من غير قاطع وإن جزم به صاحبه كاعتقاد الزائغ عن الحق لشبهة أو المقلد^(١).

معاني الظن في القرآن الكريم:

ورد لفظ (الظن) في القرآن الكريم بعدة معانٍ، هي: العلم، واليقين، والشك، والحسبان، والتهمة^(٢)، ويمكن تفصيلها كالاتي:

١- العلم واليقين، نحو قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ [ص: ٢٤]، أي: علم وأيقن داود عليه السلام أنما فتناه واختبرناه^(٣)، واليقين على الأصل الثاني، وهو يقين التدبير فمثل ما جاء في معنى قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلْقُوا رَبَّهُمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة: ٤٦]، قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: "إن الظن من المؤمن يقين"^(٤).

وقال أبو عبد الله القرطبي: "والظن هنا في قول الجمهور بمعنى اليقين، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَّةٍ﴾ [الحاقة: ٢٠]"^(٥).

٢- الشك، نحو قوله تعالى: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ [يونس: ٣٦]، والمقصود أن "الشك لا يُغني من اليقين شيئاً، ولا يقوم في شيء مقامه، ولا ينتفع به حيث يُحتاج إلى اليقين"^(٦).

٣- (ظن) يعني حسب، وهو في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّنْ يَحُورَ﴾ [الانشقاق: ١٤]، أي: حسب أن لا يرجع إلى الله تعالى^(٧)، وقال تعالى: ﴿وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [فصلت: ٢٢]، جاء في تفسير الآية: "يقول جل ثناؤه: ولكن حسبتم حين ركبتم في الدنيا من معاصي الله أن الله لا يعلم كثيراً مما تعلمون من أعمالكم الخبيثة"^(٨).

٤- على قراءة (بظنين)، وهي قراءة متواترة^(٩)، يكون الظن بمعنى التهمة، قال تعالى: ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ [التكوير: ٢٤]، قال ابن زنجلة: "وقرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي: (وما هو على الغيب بظنين) بمعنى: ما هو بمتهم على الوحي أنه من الله ليس محمد صلى الله عليه وسلم متهماً، وقرأ الباكون: (بضنين) بالضاد، أي:

(١) ينظر: الكليات، أبو البقاء الكفوي، (ص: ٥٩٤).

(٢) ينظر: إصلاح الوجوه والنظائر، الدامغاني، (ص: ٣١١).

(٣) ينظر: جامع البيان، الطبري، (٦٣/٢٠).

(٤) جامع البيان، (٢٣٢/٢٣).

(٥) الجامع لأحكام القرآن، (٢٣٢/٢٣).

(٦) جامع البيان، (١٨١/١٢).

(٧) ينظر: التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، الفخر الرازي، (١٠٠/٣١).

(٨) ينظر: جامع البيان (٤١١/٢٠).

(٩) قرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي: (بظنين) بالطاء، وقرأ نافع وعاصم وابن عامر وحمة: (بضنين) بالضاد، كتاب السبعة في

القراءات، ابن مجاهد، (ص: ٦٧٣).

ببخيل يقول لا يبخل محمد صلى الله عليه وآله من العلم والقرآن، ولكن يرشد، ويعلم، ويؤدي عن الله جل وعز^(١).

مفهوم المضامين العقدية:

(المضامين العقدية) مركب وصفي مكون من موصوف (المضامين)، وصفة (العقدية)، وحتى تتضح دلالة هذا المفهوم لا بد من تعريف شقيه الصفة والموصوف كالآتي:

المضامين في اللغة والاصطلاح:

المضامين في اللغة: جمع مضمون، وهو مصدر مأخوذ من ضَمِنَ يَضْمَنُ ضَمَانًا، فهو ضامنٌ وضَمِين، ومنه قول الشاعر.

إِنَّ الْمَضَامِينَ الَّتِي فِي الصُّلْبِ مَاءُ الْفُحُولِ فِي الظُّهُورِ الْخُدْبِ^(٢)
وَيُقَالُ: ضَمِنَ الشَّيْءُ بِمَعْنَى تَضَمَّنَهُ؛ وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: مَضْمُونُ الْكِتَابِ كَذَا وَكَذَا^(٣)، الأجنة في بطون الإناث، وهو قول بعض أهل اللغة^(٤)، وضمن الشيء بمعنى تضمنه، والمضمون (المحتوى)، ومنه: مضمون الكتاب؛ ما في طَيِّهِ، ومضمون الكلام فَخْوَاهُ، وما يُفْهَمُ منه، والجمع: (مضامين)^(٥)، والمضامين ما في بُطُونِ الْإِنَاثِ^(٦)، فالمضمون في اللغة هو: المحتوى والفحوى.

العقيدة في اللغة والاصطلاح:

العقيدة في اللغة:

مأخوذة من العقد، وهو نقيض الحل، وهو يدل على الشدة والثوق، وقال ابن فارس: "العين والقاف والبدال: أصلٌ واحد يدل على شدٍّ، وشِدَّةٍ وثوق، وإليه ترجع فروع الباب كلها"^(٧)، وعقد الشيء يعقده عقداً وانعقد وتعقد، والمعاهد: هي مواضع العقد، والعقدة: القلادة، والعقد: الخيط ينظم فيه الخرز وجمعه عقود، ويقال: اعتقد الدر والخرز وغيره: إذا اتخذ منه عقداً، وعقدت الجبل اعقده عقداً وقد انعقد، ومعقد الجبل مثل مجلس، وهو موضع عقده يقال له: عقدة، وجمعها عقد، لأنها تمسكه وتوثقه، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾ [الفرق: ٤]، أي: السواحر اللاتي يعقدن الخيوط وينفثن فيها^(٨).

(١) حجة القراءات، ابن زنجلة، (ص: ٧٥٢).

(٢) تحذيب اللغة، أبو منصور الأزهري، (٣٤/٤).

(٣) ينظر: لسان العرب، ابن منظور، (٢٥٨/١٣).

(٤) ينظر: القاموس الفقهي، سعدي أبو حبيب، (ص: ٢٢٥).

(٥) ينظر: لسان العرب، ابن منظور (٢٥٨/١٣)، تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي، (٣٣٩/٣٥)، المعجم الوسيط، مجمع

اللغة العربية بالقاهرة، (٥٤٥/١)، معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عمر، (١٣٧١/٢).

(٦) ينظر: تاج العروس، الزبيدي (٩٥/٧).

(٧) ينظر: مقاييس اللغة، (٨٦/٤).

(٨) ينظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، (٨٧/٤)، لسان العرب، ابن منظور (٤١٣/٣).

العقيدة في الاصطلاح:

تُطلق على الإيمان الجازم الذي لا يتطرق إليه شك، وهي ما يؤمن به الإنسان ويعقد عليه قلبه، وما يعتقدُه اعتقادًا صحيحًا جازمًا بربوبية الله تعالى وألوهيته وأسمائه وصفاته، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وسائر ما تُبَيَّن من أمور الغيب، وأصول الدين، وما أُجْمع عليه السلف الصالح، والتسليم التام لله تعالى في الأمر والحكم والطاعة، والاتباع لرسوله صلى الله عليه وسلم^(١).

وقيل هي: "الحكم المستقر الذي لا يقبل الشك عند معتقده، المنبثق من الكتاب والسنة في معرفة الرب والرسول والدين، وما يقتضيه ذلك من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة، والنظرة الشاملة للكون والحياة والإنسان"^(٢).

معنى المضامين العقيدية:

هي المسائل المتعلقة بأركان الإيمان الستة، وسائر ما يتعلق بها من قضايا.

التعريف الإجرائي لعنوان البحث:

هي المسائل المستنبطة من ألفاظ أحاديث الظن بالله تعالى مما يتعلق بأركان الإيمان وسائر قضايا العقيدة.

المعنى الإجمالي لأحاديث الظن بالله تعالى:

١- عن وائلة بن الأسقع^(٣)، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: قال الله تبارك وتعالى: (أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، فَلْيُظَنِّ بِي مَا شَاءَ)^(٤).

(١) مدخل إلى علوم الشريعة، عبد الرحمن العقل، (ص: ٧٣).

(٢) دراسات في تميز الأمة الإسلامية وموقف المستشرقين منه، إسحاق السعدي، (١/ ٢٥١).

(٣) هو وائلة بن الأسقع بن عبد العزى الكناني الليثي، كنيته: أبو الأسقع، أسلم والنبي ﷺ يتجهز إلى تبوك، خدم النبي ﷺ ثلاث سنين، وكان من أصحاب الصفة، توفي ببيت المقدس، وقيل: بدمشق سنة (٨٥هـ)، ينظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر، (٤/ ١٥٦٣).

(٤) رواه ابن حبان في صحيحه، كتاب الرقائق، باب حسن الظن بالله تعالى، (٢/ ٤٠٥)، وصححه الألباني في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان، ج(٢/ ٩٢)، ورواه ابن حبان عن أبي هريرة^(٥) عن رسول الله ﷺ بلفظ: (إن الله جلا وعلا يقول: أنا عند ظن عبدي لي، إن ظن خيرا فله، وإن ظن شرا فله، كتاب الرقائق، باب الأذكار، (٣/ ٩٣)، قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم، والحديث رواه البخاري عن أبي هريرة^(٥) بلفظ: قال ﷺ: (يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه، ذكرته في نفسي)، صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى (ويحذركم الله نفسه)، (٩/ ١٢١) رقم: (٧٤٠٥) ورواه البخاري - أيضا - عن أبي هريرة^(٥) أن رسول الله ﷺ قال: (قال الله: أنا عند ظن عبدي بي)، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: (يريدون أن يبدلوا كلام الله) (٩/ ١٤٥) رقم: (٧٥٠٥)، ورواه مسلم في صحيحه باللفظ السابق، كتاب الذكر، باب الحث على ذكر الله تعالى (٤/ ٢٠٦) رقم: (٢٦٧٥)، ورواه مسلم - أيضا - بنحو اللفظ السابق عن أبي هريرة^(٥) وفيه: (وأنا معه حيث يذكرني، والله أفرح بتوبة عبده من أحكم يجد ضالته بالفلاة...) كتاب التوبة، باب في الحظ على التوبة والفرح بها (٤/ ٢١٠)، رقم: (١- ٢٦٧٥)، ورواه مسلم في صحيحه من رواية أبي هريرة^(٥) مختصرا بلفظ: قال رسول الله ﷺ: (يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا دعاني)، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الذكر والدعاء والتقرب إلى الله تعالى (٤/ ٢٠٦) رقم: (١٩)، (٢٦٧٥).

هذا الحديث من الأحاديث القدسية^(١) العظيمة التي تبين سعة رحمة الله وعفوه ومغفرته، ففيه بيان أن الله سبحانه وتعالى بعفوه، وممّنه، وكرمه يقابل ظن عبده فيه بالمثل، فمن توجه بالظن بالله عز وجل إلى حسن الظن، والرجاء، والأمل، والثقة فيه سبحانه، قابل المولى فعله وظنه هذا بالمثل فيكون بعطاءه، ولطفه، وفضله، ورحمته، وعفوه، وجبره سبحانه وتعالى أكمل وأحسن مما ظنّه عبده به.

ومعنى الحديث: "أي: أنا قادر على أن أعمل به ما ظن أني أعامله، أو أنا عند علمه وإيمانه بما وعدت من قبول حسناته، والعفو عن زلاته، وإجابة دعواته عاجلاً وآجلاً، أو المراد أنا عند أمله ورجائه، ... هذا أصل عظيم في حسن الرجاء في الله وجميل الظن به وليس لنا وسيلة إليه إلا ذلك قالوا: والأفضل للمريض أن يكون رجاءه أغلب"^(٢).

قال أبو العباس القرطبي: "(قوله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي) قيل: معناه: ظن الإجابة عند الدعاء، وظن القبول عند التوبة، وظن المغفرة عند الاستغفار، وظن قبول الأعمال عند فعلها على شروطها؛ تمسكاً بصادق وعده، وجزيل فضله"^(٣).

٢- حديث: (يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسيه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم، وإن تقرب إلي بشئ تقربت إليه ذراعاً، وإن تقرب إلي ذراعاً تقربت إليه باعاً، وإن أتاني يمشي أتيته هرولاً"^(٤)).

وقال الشوكاني: "فيه ترغيب من الله عز وجل لعباده بتحسين ظنّهم، وأنه يعاملهم على حسبها، فمن ظن به خيراً أفاض عليه جزيل خيراته، وأسبل عليه جميل تفضلاته، ونشر عليه محاسن كراماته، وسوابغ عطياته، ومن لم يكن في ظنه هكذا لم يكن الله تعالى هكذا، وهذا هو معنى كونه سبحانه وتعالى (عند ظن عبده)، فعلى العبد أن يكون حسن الظن بربه في جميع حالاته، ويستعين على تحصيل ذلك باستحضاره ما ورد من الأدلة الدالة على سعة رحمة الله سبحانه، وتعالى"^(٥).

(١) الحديث القدسي: نسبة إلى القدس، بمعنى الطهر، أي الحديث المنسوب إلى الذات القدسية، وهو الله سبحانه وتعالى، واصطلاحاً: هو ما نقل إلينا عن النبي ﷺ مع إسناده إياه إلى ربه عز وجل، وقيل: ما رواه النبي ﷺ عن ربه تعالى، ومرتبة الحديث القدسي بين القرآن والحديث النبوي، والفرق بينه وبين القرآن الكريم: أن القرآن يُنسب إلى الله تعالى لفظاً ومعنى، ومتعبد بتلاوته، معجز بألفاظه ومعانيه وأحكامه، منقول إلينا بالتواتر، أما الحديث القدسي: ينسب إلى الله تعالى معنى لا لفظاً؛ فلذلك هو غير متعبد بتلاوته، ولا يُقرأ في الصلاة، ولم يحصل به التحدي، ولم يُنقل بالتواتر، بل منه صحيح وضعيف وموضوع، أما الحديث النبوي: فينسب إلى النبي ﷺ لفظاً ومعنى، وقيل: إن معنى الحديث النبوي قد يكون بالوحي وقد يكون بالاجتهاد، ولا يُقر إن كان الاجتهاد خطأ بل ينزل الوحي من الله منبهاً ومصوباً، ينظر: مصطلح الحديث، ابن عثيمين، (ص ٥).

(٢) فيض القدير شرح الجامع الصغير، عبد الرؤوف المناوي (٤/٤٩٠).

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس القرطبي، (٥/٧).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد (٦/٢٦٩٤)، حديث رقم: (٦٩٧٠)، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الذكر، والدعاء، والتوبة، والاستغفار، باب الحث على ذكر الله تعالى، (٨/٦٢)، حديث رقم: (٢٦٧٥).

(٥) تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين من كلام سيد المرسلين، الشوكاني، (ص: ١٣).

وقال ابن باز: "وأما تفسير هذه الصفات فلا يعلم كيفية ذلك إلا هو، صفات حق: (تقريبه من عباده ذراعاً، وابعاً، ومشيه إليه هرولة)، كل هذه من الصفات الفعلية التي تمر على ظاهرها من غير تحريف، ولا تكييف، ولا تمثيل، بل على حد قوله سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، لكنه يستفاد منها، من مضمونها، ومن ثمراتها، ومن مقتضاها: أنه سبحانه أسرع بالخير إلى عباده منهم، وأنه أجود وأكرم، من سابق إلى الخيرات وسارع إلى الطاعات؛ فאלله إليه أسرع بالخيرات والثواب^(١).

٣- حديث: (لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله تعالى)^(٢).

معنى هذا الحديث: أنه لا يموت مسلم إلا وهو يحسن الظن بالله تعالى أنه سيرحمه، ويرجوه ذلك، ويتدبر الآيات والأحاديث الواردة في كرم الله سبحانه وتعالى، وسعة رحمته، وعفوه، وما وعد به أهل التوحيد والإيمان من الرحمة يوم القيامة^(٣).

٤- حديث: قال الله تعالى: (يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان فيك ولا أبالي، يا ابن آدم لو بَلَغْتَ دُؤُوبَكَ عَنَانَ السَّمَاءِ، ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ ولا أبالي، يا ابن آدم لو أَتَيْتَنِي بِشُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا، ثُمَّ لَقَيْتَنِي لَا تَشْرِكُ بِي شَيْئًا لَأَتِيَنَّكَ بِقَرَابِهَا مَغْفِرَةً)^(٤).

ومعنى الحديث: أن الله تعالى يخبر ابن آدم أنه مادام يدعو، ويرجوه في مدة دعائه ورجائه إلا: (غفرت لك) ذنوبك (على ما كان فيك) أي: من المعاصي وإن تكررت وكثرت (ولا أبالي) أي: بكثرة ذنوبك وخطاياك، يعني: لا يعظم على مغفرة ذنبك، وإن كانت ذنوبك كثيرة كبيرة، فذنوب العبد - وإن كثرت وعظمت - فإن عفو الله، ومغفرته أعظم منها، فهي صغيرة في جنب عفو الله، ومغفرته، ورحمته الواسعة، ولا يبالي سبحانه بها، قيل: لأن الدعاء مخ العبادة، وأساسها، وهو سؤال النفع والصلاح والرجاء الذي يتضمن حسن الظن بالله تعالى، والله عز وجل يقول: (أنا عند ظن عبدي بي)، وعند ذلك تتوجه رحمة الله إلى العبد، وإذا توجهت لا يتعاضدها شيء؛ لأنها وسعت كل شيء، كما قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦].

فمن جاء مع التوحيد بقراب الأرض خطايا لقيه الله بقرابها مغفرة؛ لكن هذا مع مشيئة الله عز وجل، فإن شاء غفر له وإن شاء أخذه بذنوبه وعاقبه، ومع معاقبته فإنه لا يخلد في النار بل يخرج منها، ثم يدخل الجنة، ومن تحقق قلبه بكلمة التوحيد أخرجت منه كل ما سوى الله محبةً، وتعظيمًا، ومهابةً وإجلالاً ورغبةً ورهبةً وخشيةً ورجاءً وتوكلًا، وحينئذ تزول ذنوبه وخطاياها كلها ولو كانت مثل زبد البحر، وربما انقلبت حسنات؛ فإن هذا التوحيد هو الدواء العظيم الذي لو وضع ذرة منه على جبال الذنوب والخطايا لأزالها وبدلها حسنات^(٥).

(١) شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري، عبد العزيز بن باز، (ص: ٨٠).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الأمر بحسن الظن بالله تعالى عند الموت، (١٦٥/٨)، حديث رقم: (٢٨٧٧).

(٣) ينظر: رياض الألفهام في شرح عمدة الأحكام، أبو حفص الفاكهاني، (١٧٦/٣).

(٤) أخرجه الترمذي في سننه، (٥٤٨/٥)، حديث رقم: (٣٥٤٠)، وصححه الألباني، ينظر: السلسلة الصحيحة (١٢٧).

(٥) ينظر: جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، ابن رجب الحنبلي، (٤١٦/٢، ٤١٧)، مراعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، أبو الحسن المباركفوري، (٣٧-٣٥/٨).

المبحث الأول: أقسام الظن بالله تعالى

من الجلي أن الظن كما أنه يكون من البشر بين بعضهم بعضاً، كذلك يكون الظن منهم بالله تعالى؛ وهذا الظن منه المحمود، ومنه المذموم.

القسم الأول: الظن الحسن بالله تعالى ومواطنه

وهذا الظن الحسن المحمود المشروع هو من علامات حسن العبادة، والتقوى، والقرب من الله تعالى، والتوكل عليه، واللجوء إليه، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إِنَّ حُسْنَ الظَّنِّ بِاللَّهِ مِنْ حُسْنِ الْعِبَادَةِ)^(١). وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يَخْرُجُ رَجُلَانِ مِنَ النَّارِ، فَيُعْرَضَانِ عَلَى اللَّهِ، ثُمَّ يُؤْمَرُ بَهُمَا إِلَى النَّارِ، فَيُلْتَفَتُ أَحَدُهُمَا فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، مَا كَانَ هَذَا رَجَائِي، قَالَ: وَمَا كَانَ رَجَاؤُكَ؟، قَالَ: كَانَ رَجَائِي إِذْ أَخْرَجْتَنِي مِنْهَا، أَنْ لَا تُعِيدَنِي، فَيَرْحَمَهُ اللَّهُ فَيَدْخِلُهُ الْجَنَّةَ"^(٢). فالظن المحمود بالله عز وجل سبيل نجاة للعبد من الهلكة والشقاء والخلود في النار.

فكيف يكون الظن بالله عز وجل محموداً من العبد منجياً له، مسبباً لنعيم ورحمة الله تعالى به؟ من خلال استقراء الآيات والأحاديث التي ورد فيها الظن المحمود بالله تعالى نجد أن الظن المحمود هو الظن الحسن بالله تعالى، ويكون في جملة من المواطن، ويكون معنياً بالعلم واليقين، لا الشك والحسبان، ومن صورته:

- ١- اليقين بصفحه تعالى، وتوبته على العبد، قال تعالى: ﴿وَقُلُوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ﴾ [التوبة: ١١٨]، "أي: تيقنوا أن لا ملجأ يلجئون إليه في الصفح عنهم، وقبول التوبة منهم إلا إليه"^(٣).
- ٢- اليقين بالخشع، وملافة الله تعالى، والوقوف بين يديه، كما قال سبحانه: ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ [الَّذِينَ يَطْنُونَ أَنْهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنْهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ] [البقرة: ٤٥، ٤٦]، قال ابن كثير: "وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَطْنُونَ أَنْهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنْهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ هذا من تمام الكلام الذي قبله، أي: وإن الصلاة أو الوصاة لثقيلة إلا على الخاشعين الذين يظنون أنهم ملاقو ربه، أي: يعلمون أنهم محشورون إليه يوم القيامة، معروضون عليه، وأنهم إليه راجعون، أي: أمورهم راجعة إلى مشيئته، يحكم فيها ما يشاء بعدله، فهذا لما أيقنوا بالمعاد والجزاء سهل عليهم فعل الطاعات وترك المنكرات"^(٤).

(١) رواه ابن الدنيا في كتاب: حسن الظن بالله تعالى، (ص: ٢١)، ورواه أبو داود في سننه، باب في حسن الظن (٢٩٨/٤)، وضعفه الألباني، ورواه الترمذي في سننه (٥٨٣/٥)، وقال: هذا حديث غريب من هذا الوجه، ورواه ابن حبان في صحيحه، باب ذكر البيان أن حسن الظن من العبادة (٣٩٩/٢)، وعلق الشيخ شعيب الأرناؤوط: بأن فيه شئير بن حمار وقيل: شمر بن حمار قال عنه الذهبي: نكرة، وقال: الحافظ في التقریب: صدوق، وباقي رجال السند ثقات.

(٢) رواه ابن حبان في صحيحه، ذكر البيان بأن حسن الظن بالمعبود جل وعلا قد ينفع في الآخرة لمن أراد الله به الخير، (٢٩٤/٦)، وصححه الألباني، وقال شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، (٢٨٧/٨).

(٤) تفسير القرآن العظيم، (٢٥٤/١).

٣- اليقين بملاقاة الحساب، كما قال سبحانه: ﴿إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَّةٍ﴾ [الحاقة: ٢٠]، "أي: قد كنت موقناً في الدنيا أن هذا اليوم كائن لا محالة"^(١).

٤- الظن الحسن بالله تعالى، وهو في الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: قال عز وجل: (أنا عند ظن عبدي بي، فإن ظن بي خيراً فله الخير، فلا تظنوا بالله إلا خيراً)^(٢).

القسم الثاني: الظن المذموم بالله تعالى

وهو الظن السيء بالرحيم الكريم القدير - والعياذ بالله، وبحكمته أو بقدرته التي لا يعجزها شيء، أو بعلمه المحيط أو نصره الذي وعد به أنبياءه ورسله والمؤمنين، أو الظن بأنبياء الرحمن ورسله وبالיום الآخر، ومن صورته:

١- الظن السيء بالله عز وجل، والجهل بقدرته، قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغِيثُ طَائِفَةً مِّنكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ [آل عمران: ١٥٤]، قال الطبري: "يَظُنُّونَ بِاللَّهِ" الظنون الكاذبة، ﴿ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ من أهل الشرك بالله، شكاً في أمر الله، وتكديساً لنبيه صلى الله عليه وسلم، ومحسبةً منهم أن الله خاذل نبيه، ومعلٍ عليه أهل الكفر به"^(٣)، وهذا ظن أهل الجاهل بالله؛ لأن من عرف الله عز وجل بأسمائه وصفاته، وأحكامه، وحكمته لا يمكن أبداً أن يظن أن الله يرفع الباطل على الحق، ويعليه عليه، وأنه يخذل رسوله، ولا ينصره، ويعلي عدوه عليه، فلا يظن هذا الظن إلا من لا يعرف الله عز وجل حقاً^(٤).

٢- الظن السيء بما لا يليق بجلال الله ويعمله المحيط بكل شيء، وهذا الظن المهلك، قال تعالى: ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَوُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [فصلت: ٢٢، ٢٣]، فقلوه: "﴿وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ﴾، بإقدامكم على المعاصي، ﴿أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾، فلذلك صدر منكم ما صدر، وهذا الظن، صار سبب هلاكهم وشقائهم ولهذا قال: ﴿وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ﴾ الظن السيء، حيث ظننتم به، ما لا يليق بجلاله، ﴿أَرْدَاكُمْ﴾، أي: أهلككم، ﴿فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ لأنفسهم، وأهليهم، وأديانهم؛ بسبب الأعمال التي أوجبها لكم ظنكم القبيح بربكم، فحققت عليكم كلمة العقاب والشقاء، ووجب عليكم الخلود الدائم في العذاب، الذي لا يفتّر عنكم ساعة"^(٥).

٣- الظن السيء بقدرة الله سبحانه، سواء كان الظن السيء بعدم قدرة الله سبحانه على البعث وإعادة الحياة للأمتوات، قال تعالى: ﴿وَأَسْتَكَبرُوهُ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ يَغَيِّرُ الْحَقَّ وَيُظَوُّوا أَنَّهُمْ إِلَهًا لَا

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٨/٢١٤).

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في حسن الظن بالله، (ص: ٩٦)، حديث (٨٤)، لم أجد من بين درجته غير أن صدر الحديث مذكور أخرجه البخاري ومسلم كما ورد في المعنى الإجمالي للحديث الأول في هذه الدراسة.

(٣) جامع البيان، (٦/١٦٥).

(٤) ينظر: تفسير القرآن الكريم: آل عمران، ابن عثيمين، (٢/٣٢٨).

(٥) تيسير الكريم الرحمن، السعدي، (ص: ٨٢٦).

- يُرْجَعُونَ ﴿ [الفصص: ٣٩]، وقال تعالى: ﴿وَأَنَّهُمْ ظُنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَنَّ لَنَ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا﴾ [الجن: ٧]، أو عدم القدرة على الإتيان بالساعة وإقامة القيامة، قال تعالى: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتُهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ﴿٥٥﴾ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنْقَلَبًا﴾ [الكهف: ٣٥، ٣٦]، وقال تعالى: ﴿وَلَئِن أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْبَىٰ﴾ [فصلت: ٥٠]، أو عدم قدرة المولى القدير على نصرته وأتباعه والمؤمنين، قال تعالى: ﴿بَلْ ظَنَنْتُمْ أَن لَّن يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنْتُمْ ظَنَ السَّوءِ وَكُنتُمْ قَوْمًا بُورًا﴾ [الفتح: ١٢].
- ٤ - الظن السيء بأنبياء الله ورسله بأنهم كاذبون، قال تعالى: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَنَّكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَذِبِينَ﴾ [الأعراف: ٦٦]، وجاء في قصة شعيب عليه السلام مع قومه: ﴿وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ الْكَذِبِينَ﴾ [الشعراء: ١٨٦].
- ٥ - الظن السيء بالله تعالى أن وعده بالساعة ليس بيقين ولا متحقق الوقوع، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُحْسِنِينَ﴾ [الجن: ٣٢]، قال الطبري: "وقوله: (إن ظنن إلا ظنا)، يقول: وقتلتم: ما نظن أن الساعة آتية إلا ظنا، (وما نحن بمستيقنين)، أنها جائية، ولا أنها كائنة"^(١).

المبحث الثاني: المضامين العقدية المتعلقة بأحاديث الظن بالله تعالى

وهذه المضامين كثيرة، وسوف نأتي على أبرزها، بإذن الله تعالى:

المسألة الأولى: حسن الظن بالله تعالى دليل على الإيمان

وهذا من أهم المضامين العقدية المستفادة من الأحاديث السابقة، فهناك علاقة وثيقة بين الظن الحسن بالله تعالى والإيمان به، فالظن الحسن بالله لا يستقر في النفس البشرية إلا عند وجود إيمان راسخ، وعقيدة قوية، وهذا الإيمان هو إيمان الخاشعين، كما قال تعالى: ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴿١٩﴾ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلْقَوُوا رَبَّهُمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة: ٤٥، ٤٦]، والإيمان بالله يجعل العبادات سهلة خفيفة، قال السعدي: "﴿وَأَنَّهُمْ﴾، أي: الصلاة ﴿لَكَبِيرَةٌ﴾، أي: شاقة ﴿إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾، فإنها سهلة عليهم، خفيفة؛ لأن الخشوع وخشية الله، ورجاء ما عنده يوجب له فعلها منشرجاً صدره؛ لتربُّبه للثواب، وخشيته من العقاب، بخلاف من لم يكن كذلك؛ فإنه لا داعي له بدعوه إليها، وإذا فعلها صارت من أثقل الأشياء عليه...؛ ولهذا قال: ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ﴾، أي: يستيقنون ﴿أَنَّهُمْ مُلْقَوُوا رَبَّهُمْ﴾، فيجازيهم بأعمالهم، ﴿وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾، فهذا الذي خفف عليهم العبادات، وأوجب لهم التسلي في المصيبات، ونقّس عنهم الكربات،

(١) جامع البيان (١٠٧/٢١).

وزجرهم عن فعل السيئات، فهؤلاء لهم النعيم المقيم في الغرفات العاليات، وأما من لم يؤمن ببقاء ربه، كانت الصلاة وغيرها من العبادات من أشق شيء عليه^(١).

وهو إيمان من عنده اليقين الصادق الذي لا زعزعة فيه، ولا ارتياب، وهو إيمان الثقة بالله، والتوكل الحق عليه، كما قال تعالى: ﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلْكُوا اللَّهَ كَرُمٌ مِّنْ فَعَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فَعَةُ كَثِيرَةٍ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٩]، وهؤلاء هم الذين سيسعدون وسيفرحون عظيم الفرح يوم القيامة كما أخبر عنهم سبحانه وتعالى في قوله: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَوْفَىٰ كَيْلَهُ بِسَمِينِهِ فَقَوْلُ هَؤُلَاءِ أَقْرَأُ وَكِتَابَةٍ ۖ إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَّةٍ ۖ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۖ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۖ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ۖ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَصْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْحَالِيَةِ﴾ [الحاقة: ١٩-٢٤].

فظن العبد بربه أنه ملاقيه للحساب والجزاء، من أكبر الدوافع لتقوية إيمانه بالله، وعقد القلب على اليقين به، والصدق له بسلامة الإيمان، والصدق له بخلوص العمل من الشرك، وشوائب الرياء المبطله له.

وكلما قوي الظنُّ الحسن بالله تعالى قوي معه الإيمان، والعكس بالعكس صحيح؛ فالإيمان القوي لا يصير مؤدياً في نهاية الطريق إلا إلى الظنِّ الحسن بالله تعالى؛ لأن المؤمن الذي يقين بالحساب والعقاب وأعد نفسه لما هو آتٍ في ذلك اليوم، واستعد بالإيمان والأعمال الصالحة، ومع إيمانه هذا يعلم أنه لن يدخل الجنة بعمله، بل برحمة الله تعالى؛ ولذلك هو يُحسن الظن بالله، وبأنه لن يضيع أجر المحسنين، وهو يظن من اليقين أنه سيلقى هذا الفضل والرحمة من الله تعالى، بل المؤمن مأمور بذلك من النبي ﷺ كما قال عليه الصلاة والسلام: (لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا هُوَ يُحَسِّنُ الظَّنَّ بالله عز وجل)^(٢).

وهنا يرتبط الظن بالله تعالى بعبادة أخرى وهي الرجاء فيه تعالى، فهو يعمل بإيمانه ويُقدِّم بين يدي الله تعالى الصالح من الأعمال والأقوال والنوايا الطيبة ويرجو من الله أن يتقبلها منه ويثيبه عليها الأضعاف المضاعفة، ويُحَسِّنُ الظن بمولاه أنه سيعامله برحمته لا بعدله وإلا هلك؛ وهلاكه من ناحيتين:

إما أن يُعجب بعمله، ويصيبه الغرور في نفسه وعمله، فيركن إلى ذلك العمل، ولا يستكثر من الصالحات فيهلك.

وإما أن يقنط لظنه أنه مهما قدَّم من الأعمال فإنها لن تنجيه، ولا تؤمنه من عذاب الله تعالى ومقته، فيستقل بعمله الصالح ولا يراه شيئاً، فيصيبه القنوط من رحمة الله، واليأس من روحه عز وجل - والعياذ بالله - فيهلك، أو قد يسيء الظن بالله بأن يظن بأنه ليس حسبه في كل أموره، وأنه لا يعطف عليه، ولا يرحمه، ولا يعافيه، فيؤدي ذلك - أيضاً - به إلى القنوط واليأس من روح الله تعالى^(٣).

وهنا يظهر الجانب الآخر من العلاقة بين الإيمان والظن، وهو الجانب المذموم وهو الظن السيء بالله تعالى، فإذا كان الظن الحسن بالله تعالى لا ينتج إلا عن الإيمان القوي المتين، والإيمان القوي الثابت يدفع إلى حسن الظنِّ

(١) تيسير الكريم الرحمن، (ص: ٣٤).

(٢) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب حسن الظن بالله تعالى عند الموت (٢٢٠٦/٤)، حديث رقم (٢٨٧٧).

(٣) ينظر: التيسير بشرح الجامع الصغير، عبد الرؤوف المناوي، (١/١٩٦).

بالله تعالى، فيكون الظن السيء بالله - والعياذ بالله - ناتجاً عن ضلال وجهل بالله عز وجل، أو نفاق، أو عدم تقدير الله تعالى حق قدره، كما قال تعالى: ﴿وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظُنُّ السُّوءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السُّوءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [الفتح: ٦]، قال ابن قيم الجوزية: "وأكثر الناس يظنون بالله غير الحق ظن السوء، فيما يختص بهم، وفيما يفعله بغيرهم، ولا يسلم من ذلك إلا من عرف الله، وعرف أسمائه وصفاته، وعرف موجب حمده وحكمته، فمن قنط من رحمته، وأيس من روحه فقد ظن به ظن السوء"^(١).

المسألة الثانية: حسن الظن بالله من أعمال الإيمان القلبية

من المضامين العقدية المتعلقة بالأحاديث السابقة حسن الظن بالله سبحانه وتعالى، والخوف منه، ورجاء ما عنده، وهما من العبادات القلبية، فلا بد من الجمع بينهما، ولا يكفي الاقتصار على واحدٍ منهما دون الآخر، قال تعالى في وصف أنبيائه: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠]، فقوله: ﴿رَغَبًا﴾: هو الرجاء، وقوله: ﴿وَرَهَبًا﴾: هو الخوف، وقال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ [الإسراء: ٥٧]، فهم يجمعون بين الخوف والرجاء... ولا بد معهما من المحبة لله، فلا بد من هذه الأمور الثلاثة: المحبة لله، والخوف منه سبحانه وتعالى، والرجاء لفضله^(٢).

ورجاء العبد ربه هو أوثق الرجاء، وحسن الظن به سبحانه هو أصدق الظنون وما ذلك إلا لأن العبد ما وصل إلى أوثق الرجاء بالله إلا بعد أن أيس ممن حوله، وترك التعلق بهم والرجاء فيهم، وعَلَّق قلبه ورجاءه بمولاه ربه؛ لأنه هو الرحيم به والرؤوف بحاله والمحجب لما دعاه^(٣).

وفيجد حديث: (لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله) وجوب ترجيح جانب الرجاء، وبالأخص عند قرب الموت وترك الحياة، فالإنسان في تلك الحال إذا أَمَلَ عفو الله وصفحه، أعطاه الله أمله وعفا عنه، وأما قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ [الزمر: ٤٧]، فذلك في حق الكفار، وكذلك في حق متمني المغفرة بلا عمل ولا توبة، كما قال عنه النبي صلى الله عليه وسلم: (والعاجز من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله الأمان)^(٤)، أي: طلب، وتمنى المغفرة من غير توبة، ولا اتخاذ أسبابها؛ فالموئل عفو الله لا يكون أمله إلا عن سبب من توبة، واستغفار، وتقرب بالחסنات لتمحو سيئاته، وتلحقه الرحمة.

وقد كان السلف - رحمهم الله - يستحبون استحضرار ما يقتضي الرجاء قرب الموت؛ ليحصل معه ظن المغفرة، فيدخل في هذا الحديث ونحوه، بخلاف حال الصحة، فينبغي فيه استحضرار ما يقتضي الخوف ليكون أدفع

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن قيم الجوزية، (٢٠٦/٣).

(٢) ينظر: التعليقات المختصرة على متن العقيدة الطحاوية، صالح الفوزان، (ص: ١٤٢).

(٣) ينظر: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم الأصفهاني، (٥٨/١٠).

(٤) رواه الترمذي في سننه، (٦٣٨/٤)، حديث رقم (٢٤٥٩)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٦٨٤).

للعمل، وأما في حال الموت فإنه لا إمكان للعمل فيه، فإذا لم يبرح أصابه اليأس، وإذا رجا الله انشرح صدره، وتقى لقاء الله، واندفع إلى التوبة، والتقرب في تلك الحالة بما أمكنه من الدعاء^(١).

ولا بد من تحقيق التوازن بين الخوف والرجاء في رحمة الله تعالى، قال النووي: "قد تبعت الأحاديث الصحيحة في الخوف والرجاء، فوجدت أحاديث الرجاء أضعاف أحاديث الخوف، مع ظهور الرجاء فيها، قيل: لو لم يكن إلا حديث واحد، وهو حديث: (سبقت - أو غلبت - رحمتي غضبي)^(٢)، لكفى دليلاً على ترجيح الرجاء، ويعضده آية: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦]"^(٣).

"وقيل: الخوف والرجاء كالجنحين للسائرين إلى الله تعالى، ولا يمكن السير بأحد الجنحين بل بهما، لكن يغلب أحدهما الآخر، فينبغي أن يغلب الخوف على الرجاء في الصحة؛ ليتدرج به فيها إلى تكثير الأعمال الصالحة، فإذا جاء الموت وانقطع العمل، فينبغي أن يغلب الرجاء، وحسن الظن بالله؛ لأن الوفاة حينئذ إلى ملك كريم، ورب رؤوف رحيم"^(٤).

قال ابن قيم الجوزية: "حسن الظن هو حسن العمل، ومن تأمل هذا الموضع حق التأمل علم أن حسن الظن بالله هو حسن العمل نفسه، فإنَّ العبد إنما يحمله على حسن العمل حسن ظنه بربه أنه يجازيه على أعماله، ويثيبه عليها، ويتقبله منه، فالذي حمله على حسن العمل حسن الظن؛ فكلما حسن ظنه بربه حسن عمله، وإلا فحسن الظن مع اتباع الهوى عجز... وبالجمله فحسن الظن إنما يكون مع انعقاد أسباب النجاة، وأما مع انعقاد أسباب الهلاك فلا يأتي حسن الظن"^(٥).

المسألة الثالثة: إثبات صفة المعية والقرب جزاءً على حسب الظن

وهذا المضمون العقدي مستفاد من قول الله تعالى في الحديث القدسي: (وأنا معه إذا ذكرني)، والمعية هنا معية: سمع، وعلم، وإحاطة، لا معية الذات؛ لأن الذات العلية فوق السماوات على العرش، فهو سبحانه وتعالى مع عباده بسمعهم، وعلمهم، وهذا لا يتنافى مع علوه فوق سماواته، "وكوننا نؤمن بأن الله معنا إذن هو عالم بنا، سميع لأقوالنا، بصير بأفعالنا، له القدرة علينا والسلطان، ومدبر لنا بكل معنى تقتضيه المعية"^(٦).
وقد قيل لأبي عبد الله أحمد بن حنبل: "ما معنى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ [الحديد: ٤]، قال علمه محيط بالكل، وربنا على العرش بلا حد، ولا صفة"^(٧).

(١) ينظر: طرح الثريب في شرح التقريب، زين الدين العراقي، وابنه أبو زرعة، (٢٣٤/٨، ٢٣٥).

(٢) رواه البخاري في صحيحه بلفظ: (لما قضى الله الخلق كتب في كتابه، فهو عنده فوق العرش: إن رحمتي غلبت غضبي)، كتاب بدء الخلق، باب قول الله تعالى: ﴿وَيُخَذَّرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ [آل عمران: ٢٨]، وقوله جل ذكره: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ [المائدة: ١١٦]، (١١٦/٣)، حديث رقم: (٣٠٢٢)، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى، وأنها سبقت غضبه، (٩٥/٨)، حديث رقم: (٢٧٥٢).

(٣) ينظر: طرح الثريب في شرح التقريب، زين الدين العراقي، وابنه أبو زرعة، (٢٣٤/٨، ٢٣٥).

(٤) الكاشف عن حقائق السنن، شرف الدين الطيبي، (١٣٦٥/٤).

(٥) الداء والدواء أو الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء والدواء، (ص: ٤٤).

(٦) تفسير القرآن الكريم: الحجرات - الحديد، ابن عثيمين، (ص: ٣٦٩).

(٧) العلو للعلي الغفار، الذهبي، (ص: ١٧٧).

المسألة الرابعة: إثبات صفات الله الفعلية

وهذا المضمون العقدي مستفاد من أحاديث الظن بالله تعالى، وقد دل على ذلك حديث: (يا ابن آدم: لو بلغت ذنوبك عنان السماء، ثم استغفرتني، غفرت لك، ولا أبالي)، وحديث: (يقول الله تعالى: أنا عند ظري عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسيه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم، وإن تقرب إلي بشير تقربت إليه ذراعاً، وإن تقرب إلي ذراعاً تقربت إليه باعاً، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة). ففي الحديثين إثبات صفة المغفرة لله تعالى، وهي من الصفات الفعلية الاختيارية الثابتة لله تعالى، وأهل السنة والجماعة يثبتون صفة المغفرة لله تعالى كما يليق بجلاله وعظمته من غير لا تعطيل، ولا تمثيل، ولا تشبيه.

والنصوص الدالة على قيام الأفعال الاختيارية المتعلقة بمشيئته سبحانه، وهو فعال لما يريد، لا بد من إجرائها على ظاهرها، وحقيقة معناها اللاتقة بالله عز وجل من غير تكيف، ولا تمثيل، ولا مانع من أن يقرب سبحانه من عبده كيف شاء مع علوه، وهذا من كماله سبحانه بكونه فعالاً لما يريد على الوجه الذي يليق به عز وجل، كما أن تفسيره بمجازاة الله العامل بحسب عمله فمن صدق في الإقبال على ربه جازاه الله تعالى بأكمل وأفضل، وهذا المعنى ليس خروجاً عن ظاهره، ولا تأويلًا كتأويل أهل التعطيل، لكن القول الأول أرجح وأسلم وأليق بمذهب السلف^(١).

فحسن الظن بالله تعالى يعمق في قلب العبد الإيمان بكمال أسماء الله وصفاته، ويؤكد إثبات ما أثبتته الله لنفسه بلا تحريف ولا تعطيل - مع الإيمان بأفعاله، واختياره على الوجه اللائق بجلاله - يغرس في النفس تعظيم الله تعالى، والاطمئنان إلى رحمته، وقربه، وإحسانه، فيقوي صلة العبد بربه، ويعزز مقام التوحيد والافتقار والإنابة إليه سبحانه. وقد خرج الحديث "مخرج المثل لا الحصر، فيكون المعنى: من أتاني يمشي في عبادة تفتقر إلى المشي؛ لتوقفها عليه بكونه وسيلة لها كالمشي إلى المساجد للصلاة، أو من ماهيتها كالطواف والسعي والله أعلم"^(٢). وفي الحديث أيضاً: "أن الله تكلم بهذا القول مخاطباً عباده بما يريد منهم أن يفعلوه فيثيبهم عليه، وبما يريد أن يجتنبوه حتى لا يعاقبهم، والكلام صفة كمال والله تعالى متصف بها، وكلامه متعلق بمشيئته فمتى شاء أن يتكلم تكلم وكلام الله غير محصور ولا نفاذ له وهو غير خلقه"^(٣).

المسألة الخامسة: الإيمان بسعة رحمة الله تعالى وعظيم مغفرته وجوده

فالأحاديث السابقة، وفي مقدمتها الحديث القدسي: (يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء، ثم استغفرتني، غفرت لك، ولا أبالي)، كلها تؤكد سعة رحمة الله، وأنه يغفر الذنوب مهما تعاظمت، وترادفت على العباد، ولو وقع ابن آدم في المعاصي إلا الشرك بالله سبحانه وتعالى، ثم استغفر الله تعالى وتاب، فإن الله يتوب عليه تاب الله عليه، ولو كان كفراً وشركاً، فإذا رجع عن كفره وشركه، فالله يتوب عليه، فعفو الله أعظم من كل ذنب^(٤)، وقد حوى الحديث بشارة عظيمة من الله تعالى، وعظيم كرم منه، وما لا يحصى من أنواع الفضل، والحلم،

(١) ينظر: أفراد أحاديث أسماء الله وصفاته - غير صفات الأفعال - في الكتب الستة، حصة الصغير، (٤/١٥-١٧).

(٢) القواعد المثلى، القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى، ابن عثيمين، (ص: ٧٢).

(٣) شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري، عبد الله الغنيمان، (٢/٣٩١).

(٤) ينظر: الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري، الكوراني، (٩/٤٨١).

والإحسان، والرحمة، والرأفة، والامتنان على العباد^(١)؛ فمن جاء مع التوحيد بقراب الأرض خطايا لقيه الله بقرابها مغفرة، فإن أكمل العبد توحيدده، وأخلصه الله، وقام بشروطه أوجب ذلك مغفرة ما قد سلف وفات من ذنوبه، ووقاه من دخول النار، وحجبه عنها؛ لأن التوحيد الخالص الذي لا يشوبه شرك بالله لا يبقى معه ذنوب ولو كانت قراب الأرض^(٢)، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٥]، وهذا مما يرسخ الإيمان باسمي الله تعالى: الغفور، والرحيم، وما يتضمنانه من صفات، قال تعالى: ﴿قُلْ يَبْعَادَى الَّذِينَ اسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

المسألة السادسة: نيل محبة الله تعالى عند دوام ذكره

وهذا المضمون العقدي مستفاد من أحاديث حسن الظن بالله تعالى، ومنها قوله تعالى في الحديث القدسي: (وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسيه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم)، فمن ثمرات الذكر التي يجنيها العبد أنه يورثه محبة الله تعالى، وهي التي عليها مدار السعادة، والنجاة في الدنيا والآخرة، وقد جعل الله لكل شيء سبباً، وجعل سبب المحبة دوام الذكر، فمن أراد أن ينال محبة الله عز وجل فليلهج لسانه بذكره، ويداوم عليه بصدق وإخلاص، فإنه باب إلى نعمة هي من أعظم النعم، وهي محبة الله^(٣). وجاء في معنى الحديث: (أنا عند ظن عبدي بي)، وهو يحتمل أمرين: أحدهما: أن يكون معناه: أني مطلع على قلب عبدي، وأعلم أن فيه ذكري، ومحبتني، وتعظيم أمري، ورضاه بقضائي وقدري، أو يكون في قلبه خلاف هذه الأشياء، فإذا علم العبد أني مطلع على قلبه عالم بما فيه، فليكن في قلبه ما أحبه وأرضاه، وأثيبه عليه، ولا يغفل عني، فيحرم من رضائي وثوابي. والاحتمال الثاني: أن يكون معناه: أني أعطي العبد ما يظن بي، فإن اعتقدني كريماً أكرمته، وإن اعتقدني غفوراً غفرت له، وإن اعتقدني رحيماً رحمته^(٤). فالظن الحسن بالله تعالى يقوم على الإيمان بأسمائه تعالى وصفاته، واستحضار اطلاعه تعالى على قلوب العباد، ومجازاتهم بحسب ما في نفوسهم من يقين، ورجاء، فحسن الظن بالله يرسخ التوحيد، وحسن الرجاء والرضا بقضاء الله وقدره.

(١) ينظر: شرح الأربعين النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية، ابن دقيق العيد، (ص: ١٣٧).

(٢) ينظر: حاشية كتاب التوحيد، عبد الرحمن النجدي، (ص: ٣٥).

(٣) ينظر: الوابل الصيب من الكلم الطيب، ابن قيم الجوزية، (ص: ٤١).

(٤) (الظن) هنا بمعنى: اليقين والاعتقاد، لا بمعنى: الشك، ينظر: المفاتيح في شرح المصابيح، المظهر، (١٣٤/٣).

المسألة السابعة: عظم شأن التوحيد والبراءة من الشرك، وأن الذنوب لا تُخرج من الإسلام ما لم تكن شركاً

وهذا من المضامين العقدية الواضحة في أحاديث حسن الظن بالله تعالى، وعلى رأسها الحديث القدسي: (قال الله تعالى: يا ابن آدم إنيك ما دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ وَلَا أُبَالِي يا ابن آدم لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ وَلَا أُبَالِي يا ابن آدم لَوْ أَتَيْتَنِي بِشُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقَيْتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَأَتِيْتُكَ بِقَرَابِهَا مَغْفِرَةً)، فقلوه: "(ولا أُبَالِي)؛ أي: وَلَا أُعْظِمُ عَلَى مَغْفِرَتِكَ، وإن كانت ذنوبك كثيرة"^(١)، وقلوه: (بقرباب الأرض)، "أي: أتيتني بما يقارب مثل الأرض، وقلوه: (ثم لقيتني) أي: مت على الإيمان لا تشرك بي شيئاً، ولا راحة للمؤمن دون لقاء ربه"^(٢).

"فهو سبحانه يريد أن يرى عبده تفرده بالكمال، ونقص العبد، وحاجته إليه، ويشهده كمال قدرته وعزته، وكمال مغفرته وعفوه ورحمته، وكمال به واستره وحلمه، وتجاوزه وصفحه، وأن رحمته به إحسان إليه لا معاوضة، وأنه إن لم يتغمده برحمته وفضله فهو هالك لا محالة، فله كم في تقدير الذنب من حكمة، وكم فيه مع تحقيق التوبة للعبد من مصلحة، ورحمة التوبة من الذنب كشرب الدواء للعليل، ورب علة كانت سبب الصحة"^(٣).

فالذنوب والمعاصي لا تخرج من الملة، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨]، فقد قسم الله تعالى المعاصي على قسمين: شرك لا يغفره الله، وما دون ذلك يغفره الله عز وجل لمن يشاء،

كما دل الحديث على تعظيم شأن التوحيد والبراءة من الشرك، وأنه شرط لنيل المغفرة، بدليل قوله: (ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة)، ففي ذلك نفي الشرك، (وشيثاً) نكرة في سياق النفي تدل على العموم، أي: لقيتني خالياً من الشرك أو من المعبودات، (لأتيتك بقرابها مغفرة) أي: لغفرتها لك؛ وذلك لأن الإيمان به تعالى شرط في العفو عن الذنب غير الشرك؛ لأنه أصل يبني عليه قبول الطاعة، والعفو عن المعصية، بخلاف الشرك، إذ لا أصل معه يبني عليه العفو عنه، ولا بد أن يتضمن الإيمان بالله تعالى الإيمان بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم، وبما جاء به"^(٤).

فحسن الظن بالله إنما يقوم على تحقيق التوحيد، والبراءة من الشرك؛ فهما عظمت ذنوب العبد فإن باب المغفرة مفتوح له مادام العبد مقبلاً على الله، موحداً له، محسناً الظن به سبحانه وتعالى.

المسألة الثامنة: حسن الظن بأقدار الله تعالى وحكمته البالغة

وهذا المضمون العقدي من أعظم مقامات الإيمان، وله تعلق وثيق بالإيمان بالقدر؛ إذ الواجب على العبد أن يعتقد أن أفعال الله كلها دائرة بين الحكمة، والعدل، والرحمة، فما يجريه سبحانه في الكون من خير أو بلاء، فإنما يقع لحكمة بالغة، لا لعبث ولا لظلم، وما ينزل بالعبد من مصائب ونكبات قد يكون ابتلاءً وتمحيصاً، أو تكفيراً

(١) المرجع السابق، (١٨٣/٣).

(٢) شرح الأربعين النووية، ابن دقيق العيد، (ص: ١٣٩).

(٣) الفوائد، ابن قيم الجوزية، (ص: ٦٧).

(٤) ينظر: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، محمد علي الصديقي الشافعي، (٣٥٦/٤).

للدنوب، أو عقوبةً على المعاصي، والله سبحانه وتعالى هو النافع الضار، والمعطي، والمانع، لا رادّ لقضائه ولا معقب لحكمه، كما قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [الأحزاب: ١٧]، أي: أنه لا شيء من الأسباب أو غيرها تُغني عن العبد شيئاً إذا أراد الله بسوء أو شر، فهو المعطي المانع، الضار النافع الذي لا يأتي بالخير إلا هو، ولا يدفع السوء إلا هو سبحانه وتعالى^(١)، والظن المتعلق بالقدر قسمان:

الأول: الظن الحسن بالله تعالى، ومنه أن يرضى العبد بقضائه، ويقبل على التوبة والاستغفار، ويعتقد أن ما أصابه إنما هو رحمة من الله وإرادة خير به، ليرده إلى باب الإنابة والطاعة والقرب منه سبحانه، فيراجع الإنسان نفسه، ويستغفر ربه على ما فعله، ويرضى بقضاء الله وقدره، ويحمده ويشكره أن عجل له بالعقاب في الدنيا قبل الآخرة، حيث لا ينفع لا عمل ولا استغفار، ومن حسن الظن بالله كذلك أن يظن أن هذا الابتلاء من الله إنما لأنه سبحانه يحب عبده، وأراد به خيراً في التقرب إليه عز وجل، والأنس، والاطمئنان الحاصل له بالدعاء، والتوبة، والاستغفار، وتقديم العمل الصالح.

والثاني: الظن بالله سوءاً^(٢)؛ كأن يظن في فعل الله تعالى ظمناً أو عدم حكمة أو سفه، ونحو ذلك، - والعباد بالله، وهذا النوع هو الذي قال فيه سبحانه: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنَةً نَاعَسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنْ الْأُمُورُ كُلُّهَا لِلَّهِ يَخْفَوْنَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا ههنا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [آل عمران: ١٥٤]، وضمير الفاعل في ﴿يَظُنُّونَ﴾ بِاللَّهِ يعود على المنافقين، فهم الذين يظنون بالله ظن الجاهلية التي لا يعرف الظان فيها قدر الله وعظمته، فهو ظنٌ باطل مبني على الجهل بالله سبحانه وتعالى^(٣).

فمن ظن أن الله تعالى لا ينصر الحق على الباطل، أو أنه يديم الباطل، ولا يكسره أمام الحق، أو أنه سبحانه لا ينصر رسوله، وأن أمر رسالته سيزول وينتهي، أو لا يظن أن ما أصاب الرسل من ابتلاء أو اعتداء من أقوامهم عليهم بحكمة الله تعالى وقدره، وأن الله تعالى حتماً ناصرٌ لرسله ومغلبٌ أمرهم على من كادهم وعاداهم، وأبغض الحق الذي جاءوا به؛ فقد ظن بالله ظنَّ السوء، وطعن في قدره تعالى، وحكمته وتقديره، والطعن في القدر طعن في ربوبية الله عز وجل؛ لأن من تمام ربوبيته عز وجل أن نؤمن بأن كل ما جرى ويجري في الكون فإنه بقضاء الله وقدره، وأنه لحكمة أرادها الله تعالى وقضاها^(٤)، فمن ظن خلاف ذلك فقد وقع في سوء الظن بالله تعالى وهو ظن الجاهلية الذي ظنه المنافقون والمشركون - كما سبق وأن ذكرنا - في الآية الكريمة من سورة آل عمران، وفي قوله

(١) ينظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي، (ص: ٧٢٥).

(٢) ينظر: القول المفيد شرح كتاب التوحيد، ابن عثيمين، (ص: ٦١٥).

(٣) ينظر: القول المفيد شرح كتاب التوحيد، ابن عثيمين، (ص: ٦١٥).

(٤) ينظر: المرجع السابق، (ص: ٦١٨).

تعالى: ﴿وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظَنُّ السَّوِّ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوِّ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [الفتح: ٦]، وقد فسّر السلف هذا الظن السوء بأحد ثلاثة أشياء:

الأول: إنكار القدر.

والثاني: إنكار الحكمة.

والثالث: إنكار نصر الله جل وعلا لرسوله ﷺ أو لدينه أو لعباده الصالحين^(١).

ووجه كون إنكار القدر من ظن السوء بالله تعالى: أن تقدير الأمور قبل وقوعها دليل على كمال القدرة والقوة والعزة والسلطان، أما وقوع الأمور استثنافاً عن غير تقدير سابق، فهو دليل العجز، وعدم القدرة. ولا يقتصر الظن السيء بالله تعالى في القدر على إنكار القدر والحكمة، وإنما تجاوز عند بعض فرق البدع والضلال إلى تجاوزات أخرى، منها:

١- القول بالجبر، وهو من سوء الظن بالله تعالى، وقالت به الجبرية الجهمية^(٢) الذين غلوا في إثبات القدر حتى سلبوا العبد اختياره وقدرته، وقالوا: بأنه لا اختيار، ولا قدرة فيما يفعله وما يتركه، فكل ما يفعله من طاعات ومعاصٍ، وسلوك حياة بغير اختيار منه، ولا قدرة، فهو كالريشة في مهب الريح يحركها القدر كيفما شاء، والعبد لا قدرة له، ولا اختيار، ومؤدّى كلام هؤلاء أن الله خلق العباد، وكلفهم ما لا يطيقون بإجبارهم على فعل أفعالهم، ثم إنه غاية السفه والعبث - تعالى الله عن ذلك - أن يأمرهم بالتكاليف الشرعية، والأوامر والطاعات والعبادات، والنواهي والزواجر، ويشرع العقوبات عليها؛ وقد أجبرهم على فعل ما قد لا يرغبون في فعله، ثم يعاقبهم على أفعالهم المجبورين عليها.

ولا شك أن هذا غاية الظلم، والله تعالى حرّم الظلم على نفسه، كما جاء في الحديث القدسي: (يا عبادي، إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا)^(٣).

فجمع هؤلاء بين اتّهام المولى سبحانه بالعبث، وأضافوا له الظلم في فعله وحكمه - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، وهذا منتهى سوء الظن به عز وجل.

٢- نفي المشيئة والقدرة عن الله تعالى في خلق أفعال العباد، وهذا سوء ظن بالله بنفي إرادته تعالى ومشيئته وقدره، وأصحاب هذا القول هم القدرية المعتزلة^(٤) الذين أثبتوا للعبد اختياراً وقدرة في عمله، ونفوا أن يكون لله تعالى

(١) ينظر: التمهيد لشرح كتاب التوحيد، صالح آل الشيخ، (ص: ٥٤٢).

(٢) الجبرية الجهمية: أتباع الجهم بن صفوان الذين قالوا بالإجبار والاضطرار على الأعمال، حيث أن الإنسان عندهم بلا قدرة أو استطاعة ولا إرادة، وإنما يخلق الله تعالى الأفعال في الإنسان على حسب ما يخلق في سائر الجمادات، وتنسب الأفعال على المجاز كما يقال: دارت الشمس ودارت الرحي وأثمرت الشجرة وغير ذلك، فالإنسان مجبر على أفعاله وليس له استطاعة أصلاً، ينظر: الفرق بين الفرق، عبد القاهر البغدادي، (ص: ٢١١)، التبصير في الدين، أبو المظفر الإسفرائيني، (ص: ١٠٧).

(٣) رواه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة، باب تحريم الظلم (١٩٩٤/٤)، رقم: (٢٥٧٧).

(٤) القدرية المعتزلة: هم الذين ينفون قدر الله تعالى ويقولون: إن الله لم يخلق أفعال العباد ويجعلون العبد خالق فعل نفسه، ويقولون: إن الله تعالى لا يعلم الشيء إلا بعد وقوعه، ينظر: التبصير في الدين، أبو المظفر الإسفرائيني، (ص: ٦٣).

في عمل العبد مشيئة أو قدرة وخلق، ووصل الأمر ببعض غلاتهم إلى نفي علم الله بالأمر قبل وقوعه، فأفعال العبد كلها من الطاعات أو المعاصي واقعة باختياره التام، وقدرته التامة، وليس لله تعالى في ذلك مشيئة ولا إرادة ولا خلق، بل ولا علم عند الغلاة منهم^(١).

ومن ظن هذا الظن بالله تعالى فقد تجاوز في سوء ظنه بالمولى عز وجل إلى الظن في حكمته وتقديره، فظن في فعله سبحانه سفهاً أو ظلماً أو نحو ذلك، وهو من أعظم المحرمات وأقبح الذنوب^(٢)، وهذا هو الظن الذي وقع فيه المنافقون، وأهل الجاهلية: ﴿وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ [آل عمران: ١٥٤]، وقد لخص ابن قيم الجوزية - رحمه الله - الكلام في تفسير ظن السوء في هذا الباب في ثلاثة أمور:

الأول: من ظنَّ أن الله تعالى يخلف وعده لرسله أن ينصرهم، ولا يخذلهم، ولا يغلب لأوليائه وجنده، وأنه يبدل الشرك على التوحيد، والباطل على الحق إدالة دائمة مستقرة يضمحل معها التوحيد والحق، وإنكار أن يتم أمر رسوله ويظهره على الدين كله، وهذا هو ظن السوء الذي ظنه المنافقون والمشركون به سبحانه وتعالى في سورة الفتح، حيث يقول: ﴿بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَرَبِّكَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنْتُمْ ظَنًّا سَوْئًا وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا﴾ [الفتح: ١٢].

الثاني: من أنكر أن يكون ما جرى ويجري في الكون بقضاء الله وقدره؛ وإنكاره يتضمن أن يكون في ملكه سبحانه ما لا يشاء ولا يريد، وهذا أجهل الناس بربه؛ لأنه لا يكون في ملكه إلا ما هو بإرادته ومشيئته.

الثالث: أن ينكر أن يكون قدره لحكمة بالغة، وغاية محمودة يستحق الحمد عليها؛ لأن هذا يتضمن أن يكون تقديره إنما صدر عن مشيئة مجردة عن حكمة، فخلقه لا لحكمة إنما لعب وسفه - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعَيْنٍ﴾ ﴿مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الدخان: ٣٨، ٣٩]، وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾ [ص: ٢٧]، فما قدرها الله تعالى سُدى، ولا أنشأها عبثاً، ولا خلقتها باطلاً، ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾^(٣).

وأما أهل السنة والجماعة فهم وسط في باب القضاء والقدر، فهم يؤمنون بقضاء الله وقدره، ويؤمنون بأن للعبد اختياراً وقدرةً، فكل ما كان في الكون من حركة أو سكون أو وجود أو عدم، فإنه كائن بعلم الله، ومشيئته، وكل ما كان ويكون في الكون مخلوق لله تعالى، لا خالق إلا الله ولا مدبر للخلق إلا الله عز وجل، وآمنوا بأن للعبد مشيئةً وقدرةً، لكن مشيئة العبد ليست مستقلة بل هي مربوطة بمشيئة الله تعالى، كما قال الله تعالى: ﴿لِمَنْ شَاءَ

(١) غلاة القدريّة: هم القدريّة الأولى، أتباع معبد الجهني وأصحابه، وهو أول مسلم تكلم في القدر بالبصرة، وهم ينكرون مرتبة العلم

والكتابة، ويقولون الأمر أنف، أي: مستأنف لا يعلمه الله تعالى إلا بعد وقوعه، ينظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية، (١١١/٣)،

القضاء والقدر في الإسلام، فاروق الدسوقي، (١٤٧/٢، ١٤٨).

(٢) ينظر: مدارج السالكين، ابن قيم الجوزية، (٢٦٠/١).

(٣) ينظر: زاد المعاد، ابن قيم الجوزية، (٢٠٦/٣).

مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٩﴾ [التكوير: ٢٨، ٢٩] فإذا شاء العبد شيئاً وفعله، فاعلم أن مشيئة الله تعالى قد سبقت تلك المشيئة^(١). وهذا ظلُّ الذين نجوا من الهلاك في مزالق الشُّك، وظلمات التعطيل؛ لأنهم عرفوا الله عز وجل بأسمائه وصفاته، وحكمته معرفة حقة، لا معرفة التحريف والتأويل. ومن هنا يظهر ارتباط الإيمان بالقضاء والقدر والحكمة والتقدير بالإيمان بالأسماء والصفات، وتلازم حسن الظن بالله تعالى أو سوء الظن به تعالى في المسألتين.

المسألة التاسعة: علاقة الظن بالله تعالى بباب الصفات

من المضامين العقيدة المستفادة من أحاديث الظن بالله تعالى أن الظنُّ به سبحانه مرتبط بأعظم مسائل العقيدة، وهي إثبات ما أثبتته الله تعالى لنفسه من صفات الكمال والجمال والجلال. والنَّاس في باب توحيد الأسماء والصفات: محسن ومسيء، فأما الصنف الأول: فقد أحسنوا ظنَّهم بخالقهم فأمنوا أن له سبحانه أسماءً حسنى وصفات غلا، وصدَّقوا بما سمَّى الله تعالى بها نفسه أو سمَّاهُ بها رسوله ﷺ بألفاظها، ومعانيها، وأحكامها، وعملوا بمقتضاها، عملاً بقوله: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، كما آمنوا بأن الله الكمال المطلق في كل اسم وصفة، كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، وقوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [النحل: ٦٠]، وآمنوا بالإيمان الكامل الجازم بكل ما وردت به نصوص القرآن والسنة في هذا الباب إثباتاً ونفيًا، بلا زيادة، ولا نقصان. ففي باب الإثبات أثبتوا لله تعالى كل ما أثبتته لنفسه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ، وأجروها على ظواهرها من غير تحريف، ولا تعطيل، ومن غير تكييف، ولا تمثيل، ولا إلحاد^(٢) بأي نوع كان^(٣). وفي باب النفي نفوا عن الله ما نفاه عن نفسه في كتابه من أنواع النقائص والعيوب، أو على لسان رسوله محمد ﷺ مع اعتقاد أن النفي يتضمن كمال ضد ذلك المنفي، وهذا هو الذي كان عليه سلف الأمة وأئمتها، وهو

(١) ينظر: القول المفيد، ابن عثيمين (ص: ٦٢٦).

(٢) التحريف لغة: التغيير والتبديل، والتحريف في باب الأسماء والصفات هو: تغيير ألفاظ نصوص الأسماء والصفات أو معانيها عن مراد الله تعالى بها، والتعطيل في باب الأسماء والصفات هو نفي أسماء الله وصفاته أو بعضها، والتكييف: هو جعل الشيء على حقيقة معينة من غير أن يقيد بها بمائل، أو إثبات كيفية معينة للصفات أو السؤال عنها بكيف، والتمثيل هو: الاعتقاد في صفات الخالق، أنها مثل صفات المخلوقين، والإلحاد في أسماء الله تعالى هو: الميل بها عما يجب فيها، والواجب فيها هو: الاختصار على ورد به النص؛ لأن أسماء الله تعالى توقيفية، ينظر: شرح القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى، ابن عثيمين، (ص: ٦٠)، معتقد أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات، محمد بن خليفة التميمي، (ص: ٦٠-٦٣)، شرح الرسالة التدمرية، محمد الخميس، (ص: ٤٦٦، ٤٦٧).

(٣) ينظر: معتقد أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات، محمد بن خليفة التميمي (ص: ٦٠-٦١).

الذي كان عليه أنبياء الله ورسله عليهم السلام، وكان عليه محمد ﷺ، وصحابته من بعده - رضوان الله عليهم، ومن تبعهم بإحسان.

وأما الصنف الثاني: فهم الذين ظنّوا ظن الجاهلية الذي لا يليق بكماله وجلاله، فمن ظنّ أن الله تعالى أخبر عن نفسه وصفاته وأفعاله بما ظاهره باطل أو تشبيه أو تمثيل، ولم يخبر عن الحق أو بالحق، وأنه أنزل آياته وكلامه عن أسمائه وصفاته بما يحمل وجوه الاحتمالات المستكرهة، والتأويلات الباطلة ليتعب الخلق أذهانهم وأفكارهم، ويحاروا في معرفة المراد منها؛ ويتخبطوا فيما يشبه الألغاز، بسبب عدم الوضوح والبيان فيها؛ فيقعوا في اعتقادات باطلة، وتتشعب بهم طرق الضلال، فقد ظن بالله ظنّ السوء.

ومن أنكر علم الله تعالى فقد وصف الله عز وجل بالجهل والنقص، ومن أنكر قدرة الله تعالى وأنه القادر القدير الذي لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، وأنه العزيز في حكمه والحكم في قدرته فقد ظن بالله ظنّ السوء^(١).

ومن ظنّ أن الله لا يعلم ما يكون في ملكه إلا بعد وقوعه، وأنه لا إرادة ولا مشيئة له في ملكه، وأنه في ملكه ما لا يقدر على إيجاده وتكوينه، فقد ظنّ به سبحانه ظنّ السوء^(٢).

ومن ظنّ أنه سبحانه لا سمع له، ولا بصر، ولا علم، ولا إرادة، وأنه لم يكلم أحدًا من الخلق، وأنه لا يتكلم، ولا أمر له ولا نهي^(٣)، ومن ظنّ أنه تعالى لا يتكلم بحرف وصوت بكلام مسموع، وأنه لا يتكلم متى شاء كيف يشاء بما يشاء فقد ظنّ بالله ظنّ السوء.

ومن ظنّ أنه تعالى تشابه في صفاته مع مخلوقاته، وإن اختلفت ذاته مع ذواتهم، فوقع في التشبيه^(٤) أو التمثيل أو التكيف أو التأويل^(٥) في باب الصفات، وإن أقرّ بتباين الذات الإلهية عن ذوات المخلوقين، فنجده يمثل أو يشبه الصفات أو يكيفها كما يشاء بما يقذفه الهوى في قلبه والضلال في فكره - والعياذ بالله - فقد انزل في مزالق ودروب سوء الظن بالله.

وبالجملة فإن من أساء الظن برب العالمين هذا الباب على أصناف: المعطلة، والمشبّهة، والمؤولة؛ فأما المعطلة فإنهم أسأوا الظن بالله تعالى بعدم فهمهم من أسماء الله وصفاته إلا ما هو اللائق بالمخلوق ما لا يليق بالخالق، ثم نفوا تلك المفهومات التي لا وجود لها إلا في عقولهم الفاسدة^(٦)، ومن ثم عطّلوا الحق سبحانه وتعالى عن صفاته وأسمائه التي ارتضاها لنفسه في كتابه الكريم، وعلى لسان رسوله ﷺ، وعطّلوا النصوص عن المراد بها، وكأهم

(١) ينظر: منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، ابن تيمية، (٥٢٣/٢).

(٢) ينظر: زاد المعاد، ابن قيم الجوزية (٢٣١/٣) بتصرف.

(٣) ينظر: المصدر السابق (٢٣٢/٣).

(٤) التشبيه هو: تشبيه الخالق بالمخلوق في بعض الصفات، والفرق بينه وبين التمثيل أن التمثيل هو: المشابهة في كل الصفات والتشبيه إنما يكون في بعض الصفات، فالمشبّهة لا يمثلون الخالق بالمخلوق من كل وجه، وإنما قالوا بإثبات التماثل من وجه والاختلاف من وجه، ينظر: شرح القواعد المثلى، ابن عثيمين (ص: ٣٩)، مواقف الطوائف من توحيد الأسماء والصفات، محمد خليفة التميمي، (ص: ١١٤).

(٥) التأويل هو: صرف اللفظ عن ظاهره إلى معانٍ أخرى غير واردة، ينظر: شرح القواعد المثلى، ابن عثيمين (ص: ١٢٤، ١٢٥).

(٦) ينظر: مواقف الطوائف من توحيد الأسماء والصفات، محمد بن خليفة التميمي، (ص: ٣١).

يصفون الخالق سبحانه وتعالى بأنه أرسل رسوله وأنزل كتابه بما يشوش الأفهام ويحير العقول بلا بيان ولا توضيح، وهذا سوء ظن بالله تعالى بنفي حكمة الله تعالى في وحيه وكلامه، والعياذ بالله.

والمشبهة أسأؤوا الظن بالله تعالى بدعواهم أن الله لا يخاطبنا إلا بما نعقل، فكل ما خاطبنا به من الأسماء والصفات إنما هو ما نعقله، وما نراه أو نعرفه من صفات المخلوقين، فشبهوا صفات الخالق بصفات المخلوقين، فقالوا يد الله كأيدينا^(١)، وإذا كان مستويًا على العرش، فهو كاستواء الإنسان على السرير إذ لا يُعلم الاستواء إلا هكذا^(٢)، وكل صفات الخالق أجروها على مثل صفات المخلوق، - تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا.

فوقعوا في التمثيل والتعطيل؛ حيث عطّلوا النص عن المعنى الحقيقي المراد به من الصفة، وعطّلوا الخالق عز وجل عن كماله الواجب، حيث شبهوه بالمخلوق الناقص، وعطّلوا بتمثيلهم للصفات كل النصوص الدالة على نفى المشابهة والمماثلة بين الخالق والمخلوق، مثل قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، وقوله: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ٤]^(٣).

وأما المؤولة؛ فسوء ظنهم بالله تعالى باعتقادهم أن الله تعالى في أسمائه وصفاته أنزل ما يشوش على العباد أفهامهم وما يحير عقولهم، فيضطرون في محاولة فهمه وإثباته لتحويل المعاني إلى معاني أخرى، فحملوا اللفظ على غير ما هو مفهوم منه بحجة أن إجراء النصوص على معانيها الواردة في الكتاب والسنة لا تليق بالمولى جل وعلا، والجواب فيها التأويل.

فوقع المؤولة في نهاية المطاف في تعطيل النصوص عن معانيها المرادة منها، وعطّلوا النص عن إثباته كما أراد الله تعالى، وعطّلوا صفات الله تعالى عن الكمال الواجب فيها.

وقولهم بالتأويل محاولة لتكييف الصفة على نحو ما غير ظاهره، وفي ذلك مخالفة للكتاب والسنة، وعزلّ لهما كمصدرين للهداية، وليس بعد الهداية إلا الضلال، باتباع للرأي، والتأويلات الفاسدة^(٤).

فإذا سوء الظن بالله في باب الصفات عواقبه وخيمة؛ فهو من مسالك أهل الزيغ، والضلال، والأهواء، والآراء الفاسدة، والسلامة من ذلك كله يكون بإحسان الظن بالله تعالى واتباع أمره من الإيمان بأسمائه وصفاته سبحانه، كما وردت، وهو المنهج الحق، وطريقة الأنبياء والمرسلين.

المسألة العاشرة: العمل الصالح هو علامة حسن الظن بالله تعالى

وهذا المضمون مستفاد من حديث (أنا عند ظن عبدي بي)، فحسن الظن بالله ليس شعارًا يرفع دون أن يؤكد العمل، فلا بد معه من العمل الصالح المبني على الإخلاص والمتابعة، فهو الدليل على صدق العبد المؤمن في ظنه بربه، فمن "علامة حسن الظن بالله شدة الاجتهاد في طاعة الله"^(٥)، قال أبو العباس القرطبي: "قيل: معناه ظن الإجابة عند الدعاء، وظن القبول عند التوبة، وظن المغفرة عند الاستغفار، وظن قبول الأعمال عند فعلها

(١) ينظر: المرجع السابق ونفس الصفحة.

(٢) ينظر: معتقد أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات، محمد بن خليفة التميمي، (ص: ٨٤).

(٣) ينظر: معتقد أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات، محمد بن خليفة التميمي، (ص: ٨٤).

(٤) شرح الرسالة التدمرية، محمد الحميس، (ص: ٩٠).

(٥) آداب النفوس، الحارث المحاسبي، (ص: ١٥٠).

على شروطها تمسكاً بصادق وعده، وجزيل فضله... وكذلك ينبغي للتائب والمستغفر وللعامل أن يجتهد في القيام بما عليه من ذلك موقناً أن الله تعالى يقبل عمله، ويغفر ذنبه، فإن الله تعالى قد وعد بقبول التوبة الصادقة، والأعمال الصالحة فأما لو عمل هذه الأعمال، وهو يعتقد أو يظن أن الله لا يقبلها، وأنها لا تنفعه فذلك هو القنوط من رحمة الله، واليأس من روح الله، وهو من أعظم الكبائر، ومن مات على ذلك وصل إلى ما ظنّ منه^(١). فحسن الظن بالله أصل عقديّ قائم على الإيمان بوعد الله، وصدق خبره، وأن العبد يوقن بقبول التوبة، وإجابة الدعاء، ومغفرة الذنوب متى أتى بأسبابها الشرعية، كما يدل على أن سوء الظن بالله المؤدي إلى القنوط واليأس منافٍ لكمال التوحيد، والإيمان بأسماء الله وصفاته، بل هو من أعظم الذنوب لمخالفته لما عرف من سعة رحمة الله، وعظيم فضله.

الخاتمة:

الحمد لله رب العالمين أحمده وأشكره، وأثني عليه الخير كله، لما وقفني في كتابة هذا البحث، وهو سبحانه أهل الثناء والحمد والشكر، وفي ختام هذا البحث يطيب لي تسجيل النتائج، والتوصيات الآتية:

أولاً: أهم النتائج

- ١- عناية المولى عز وجل بخلقه فلم يتركهم يتخبطون في ظنونهم به سبحانه، فبيّن لهم ما يليق به سبحانه أن يعاملوه به فيعاملهم به، وما لا يليق أن يعاملوه به فيعاملهم به، وهذا من كمال علمه وقدرته سبحانه.
- ٢- الظن بالله تعالى بنوعيه ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية متعلّقاً بمسائل عقديّة عظيمة، منها: القدر، والصفات، والعبادات القلبية، والرجاء، والخوف، والتوكل، والصبر.
- ٣- سعادة العبد وتوفيقه، وتمام توحيده وإيمانه بإحسان الظن بربه، وظهور آثار ذلك في حياته، وبعد ذلك في آخرته.
- ٤- شقاء العبد وبواره وخسارته وهلاكه بجنائته على ربه بسوء ظنه به، وما يترتب على ذلك من خسارته لدنيائه، وهلاكه بالكفر والشرك الموجب لعقوبته في دخول جهنم، والخلود فيها.
- ٥- حسن الظن بالله تعالى من أعظم أعمال القلوب، وهو دليل على صحة الإيمان، وكمال التوحيد.
- ٦- الظن بالله ينقسم إلى ظن محمود يوافق الإيمان، وظن مذموم يناقض كمال العقيدة، ويوقع في القنوط أو الاعتراض على القدر.
- ٧- أحاديث الظن بالله تضمنت إثبات عدد من صفات الله تعالى؛ كالمعية، والقرب، والرحمة، والمغفرة، وغيرها من الصفات الفعلية على الوجه اللائق بالله سبحانه.
- ٨- حسن الظن بالله مرتبط بالإيمان بأسمائه تعالى وصفاته، ولا يتحقق إلا مع معرفة العبد بربه معرفةً صحيحة.
- ٩- سعة رحمة الله، وعظيم مغفرته من أبرز المضامين العقدية الظاهرة في أحاديث الظن بالله تعالى.
- ١٠- التوحيد أصل النجاة، وأعظم أسباب المغفرة، والذنوب لا تُخرج من الإسلام ما لم تبلغ حد الشرك الأكبر.
- ١١- حسن الظن بالله لا يعني ترك العمل، بل العمل الصالح من أعظم علامات صدق حسن الظن بالله تعالى.

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٦/٧).

١٢- أحاديث الظن بالله تعالى لها أثر في تحقيق التوازن بين الخوف والرجاء، وحماية المسلم من اليأس والأمن من مكر الله تعالى.

ثانيًا: التوصيات

- ١- العناية بجمع الأحاديث الواردة في باب الظن بالله تعالى ودراساتها دراسة عقديّة وتأصيليّة متخصصة.
- ٢- تعزيز مجال أعمال القلوب في المناهج الدراسية والدروس العلمية والدعوة؛ لما لها من أثر عظيم في ترسيخ العقيدة الصحيحة والسلوك الإيماني.
- ٣- توظيف المضامين العقديّة في أحاديث حسن الظن بالله في معالجة مظاهر الانحرافات الفكرية المعاصرة.

المصادر والمراجع:

- آداب النفوس. أبو عبد الله، الحارث بن أسد المحاسبي. (ت: ٢٤٣هـ). تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، (د. د. ط)، دار الجليل: بيروت، (د. د. ت).
- إحسان الظن بالله والتحذير من اليأس والتقنوط من رحمة الله. فهد بن سليمان الفهيد. ط ٢، (١٤٣٦هـ)، (د. د. ن).
- الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد. صالح بن فوزان الفوزان. ط ٣، دار ابن الجوزي: الدمام، (١٩٩٩م).
- الاستيعاب في معرفة الأصحاب. يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري. (ت: ٤٦٣هـ). تحقيق: علي محمد البجاوي، ط ١، دار الجليل: بيروت، (١٤١٢هـ/١٩٩٢م).
- إصلاح الوجوه والنظائر. حسين بن محمد الدامغاني. تحقيق: عبد العزيز بن سيد الأهل، ط ٤، دار العلم: بيروت، (١٩٨٣م).
- إفراد أحاديث أسماء الله وصفاته - غير صفات الأفعال - في الكتب الستة. حصة بنت عبد العزيز الصغير. رسالة دكتوراه، كلية التربية للبنات بمكة المكرمة، قسم الدراسات الإسلامية، العام الجامعي (١٤١٧هـ/١٩٩٦م).
- تاج العروس من جواهر القاموس. محمد مرتضى الحسيني الزبيدي. (ت: ١٢٠٥هـ). تحقيق: جماعة من المختصين، من إصدارات: وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب: (١٩٦٥م-٢٠٠١م).
- التبصير في الدين. أبو المظفر طاهر بن محمد الإسفراييني. (ت: ٤٧١هـ). تحقيق: كمال الحوت، ط ١، عالم الكتب: بيروت، (١٤٠٣هـ/١٩٨٣م).
- تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين. محمد بن علي الشوكاني. (ت: ١٢٥٠هـ). ط ١، دار القلم: بيروت، (١٩٨٤م).
- التعريفات. علي بن محمد الجرجاني. (ت: ٨١٦هـ). تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط ٢، دار الكتاب العربي: بيروت، (١٤١٣هـ).
- التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان. محمد بن ناصر الألباني. ط ١، دار باوزير للنشر والتوزيع: جدة، (١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م).

- التعليقات المختصرة على متن العقيدة الطحاوية. صالح بن فوزان الفوزان. (د. ط)، دار العاصمة، الرياض، (د. ت).
- تفسير القرآن العظيم. إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي. (ت: ٧٧٤هـ). تحقيق: سامي بن محمد السلامة، ط٢، دار طيبة للنشر والتوزيع: الرياض، (١٤٢٠هـ/١٩٩٩م).
- تفسير القرآن الكريم: آل عمران. محمد بن صالح العثيمين. (ت: ١٤٢١هـ). ط٣، دار ابن الجوزي: الدمام، (١٤٣٥هـ).
- تفسير القرآن الكريم: الحجرات - الحديد. محمد بن صالح العثيمين. (ت: ١٤٢١هـ). ط١، دار الثريا: الرياض، (١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م).
- التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب. محمد بن عمر التيمي، الملقب بفخر الدين الرازي. (ت: ٦٠٦هـ). ط٣، دار إحياء التراث العربي: بيروت، (١٤٢٠هـ).
- التمهيد لشرح كتاب التوحيد. صالح بن عبد العزيز آل الشيخ. ط١، دار التوحيد: (١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م).
- تهذيب اللغة. أبو منصور محمد بن أحمد الأزهرى. (ت: ٣٧٠هـ). محمد عوض مرعب، ط١، دار إحياء التراث العربي: بيروت، (٢٠٠١م).
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. عبد الرحمن بن ناصر السعدي. ط١، دار الحديث: القاهرة، (١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م).
- التيسير بشرح الجامع الصغير. محمد عبد الرؤوف بن تاج العارف بن علي المناوي. (ت: ١٠٣١هـ). ط٣، مكتبة الإمام الشافعي: الرياض، (١٤٠٨هـ/١٩٨٨م).
- جامع البيان عن تأويل أي القرآن. أبو جعفر محمد بن جرير الطبري. (ت: ٣١٠هـ). تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط١، دار هجر: (١٤٢٢هـ/٢٠٠١م).
- جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم. عبد الرحمن بن أحمد بن رجب البغدادي، الشهير بابن رجب الحنبلي. (ت: ٧٩٥هـ). تحقيق: شعيب الأرنؤوط، إبراهيم باجس، ط٧، مؤسسة الرسالة: بيروت، (١٤١٧هـ/١٩٩٧م).
- الجامع لأحكام القرآن. محمد بن أحمد بن فرح القرطبي. (ت: ٦٧١هـ). تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، ط٢، دار الكتب المصرية: القاهرة، (١٣٨٤هـ/١٩٦٤م).
- حاشية كتاب التوحيد. عبد الرحمن بن محمد بن قاسم. (ت: ١٣٩٢هـ). ط٣، (١٤٠٨هـ)، (د. ن).
- حجة القراءات. عبد الرحمن بن محمد، أبو زرعة ابن زنجلة. (ت: حوالي ٤٠٣هـ). تحقيق: سعيد الأفغاني، (د. ط)، مؤسسة الرسالة: بيروت، (د. ت).
- الحدود الأنيقة. زكريا بن محمد الأنصاري. (ت: ٩٢٦هـ). تحقيق: مازن مبارك، ط١، دار الفكر المعاصر، بيروت، (١٤١١هـ).
- حسن الظن بالله تعالى. عبد الله بن محمد بن عبيد البغدادي، المعروف بابن أبي الدنيا. (ت: ٢٨١هـ)، تحقيق: مخلص محمد، ط١، دار طيبة: الرياض، (١٤٠٨هـ/١٩٨٨م).

- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء. أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني. (ت: ٤٠٣هـ). دار السعادة: مصر، (١٣٩٤هـ/١٩٧٤م).
- الداء والدواء أو الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي. محمد بن أبي بكر بن أيوب، ابن قيم الجوزية. تحقيق: عمرو عبد المنعم، ط١، مكتبة ابن تيمية: القاهرة، (١٤١٧هـ/١٩٩٦م).
- دراسات في تمييز الأمة الإسلامية وموقف المستشرقين منه. إسحاق السعدي. ط١، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية: قطر، (١٤٣٤هـ/٢٠١٣م).
- دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين. محمد علي بن محمد بن علان الصديقي الشافعي. (ت: ١٠٥٧هـ). اعتنى به: خليل مأمون شبحا، ط٤، دار المعرفة: بيروت، (١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م).
- رياض الأفهام في شرح عمدة الأحكام. عمر بن علي بن سالم اللخمي المالكي، الفاكهاني. (ت: ٧٣٤هـ). تحقيق ودراسة: نور الدين طالب، ط١، دار النوادر: سوريا، (١٤٣١هـ/٢٠١٠م).
- زاد المعاد في هدي خير العباد. محمد بن أبي بكر بن أيوب، ابن قيم الجوزية. (ت: ٧٥١هـ). تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعبد القادر الأرنؤوط، ط١، (١٤٠٧هـ/١٩٩٦م).
- سنن الترمذي. محمد بن عيسى بن سورة الترمذي. (ت: ٢٧٩هـ). تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر، وآخرين، ط٢، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي: مصر، (١٩٧٥م).
- شرح الأربعين النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية. تقي الدين محمد بن علي بن وهب، المعروف بابن دقيق العيد. (ت: ٧٠٢هـ). ط٦، مؤسسة الريان: بيروت، (١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م).
- شرح الرسالة التدمرية. محمد بن عبد الرحمن الحميس. ط٢، مكتبة المعارف: الرياض، (١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م).
- شرح القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى. محمد بن صالح العثيمين. (ت: ١٤٢١هـ). علق عليه: عاطف شاهين، ط١، دار الغد الجديد: الرياض، (١٤٣٥هـ/٢٠١٤م).
- شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري. عبد العزيز بن باز. (ت: ١٤٢٠هـ). ط١، دار الإمام البخاري، (١٤٣٩هـ/٢٠١٨م).
- شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري. عبد الله الغنيمان. ط١، مكتبة الدار: المدينة المنورة، (١٤٠٥هـ).
- الصالح. إسماعيل بن حماد الجوهري. (ت: ٣٩٣هـ). تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط٢، دار العلم للملايين: بيروت، (١٤٠٢هـ).
- صحيح ابن حبان. أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي. (ت: ٣٥٤هـ). تحقيق: محمد علي سونمز، خالص أي ديمير، ط١، دار ابن حزم: بيروت، (١٤٣٣هـ/٢٠١٢م).
- صحيح البخاري. أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري. (ت: ٢٥٦هـ). تحقيق: مصطفى ديب البغاء، ط٥، دار ابن كثير: دمشق (١٤١٤هـ/١٩٩٣م).
- صحيح مسلم. أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري. (ت: ٢٦١هـ). (د. ط)، دار الطباعة العامة: إسطنبول، تركيا، (١٣٣٤هـ).

- طرح التثريب في شرح التقريب. عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن العراقي. (ت: ٨٠٦هـ). أكمله ابنه: أحمد بن عبد الرحيم، أبو زرعة العراقي، (ت: ٨٢٦هـ). تصوير: (د. ط)، دار إحياء التراث العربي: بيروت، (د. ت).
- العلو للعلي الغفار. محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي. (ت: ٧٤٨هـ). تحقيق: أشرف بن عبد المقصود، ط١، مكتبة أضواء السلف: الرياض، (١٤١٦هـ/١٩٩٥م).
- العين. أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي. (ت: ١٧٠هـ). تحقيق: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.
- الفرق بين الفرق. عبد القاهر بن طاهر البغدادي. (ت: ٤٢٩هـ). تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، (د. ط)، دار المعرفة: بيروت، (د. ت).
- الفوائد. محمد بن أبي بكر بن أيوب، ابن قيم الجوزية. (ت: ٧٥١هـ). ط٢، دار الكتب العلمية: بيروت، (١٣٩٣هـ/١٩٧٣م).
- فيض القدير شرح الجامع الصغير. محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي المناوي. (ت: ١٠٣١هـ). ط١، المكتبة التجارية الكبرى: مصر، (١٣٥٦هـ).
- القاموس الفقهي. سعدي أبو حبيب. ط٢، دار الفكر: دمشق، (١٤٠٨هـ/١٩٨٨م).
- القضاء والقدر في الإسلام. فاروق أحمد الدسوقي. (د. ط)، دار الاعتصام: القاهرة، (د. ت).
- القواعد المثلى، القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى. محمد بن صالح العثيمين. (ت: ١٤٢١هـ) ط٣، جامعة الإسلامية: المدينة المنورة، (١٤٢١هـ/٢٠٠١م).
- القول المفيد، القول المفيد شرح كتاب التوحيد. محمد بن صالح العثيمين. (ت: ١٤٢١هـ). ط٨، دار ابن الجوزي: الدمام، (١٤٣٨هـ).
- الكاشف عن حقائق السنن = شرح الطيبي على مشكاة المصابيح. شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبيز (ت: ٧٤٣هـ). تحقيق: عبد الحميد هنداوي، ط١، مكتبة نزار الباز: مكة المكرمة، الرياض، (١٤١٧هـ/١٩٩٧م).
- كتاب السبعة في القراءات. أبو بكر أحمد بن موسى ابن مجاهد، البغدادي. (ت: ٣٢٤هـ). تحقيق: شوقي ضيف، ط٢، دار المعارف: مصر، (١٤٠٠هـ).
- الكليات. أبو البقاء أيوب بن موسى الكفوي. (ت: ١٠٩٤هـ). ط٢، مؤسسة الرسالة: بيروت، (١٤١٩هـ).
- الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري. أحمد بن إسماعيل بن عثمان الكوراني. (ت: ٨٩٣هـ). تحقيق: الشيخ أحمد عزو عناية، ط١، دار إحياء التراث العربي: بيروت، (١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م).
- لسان العرب. محمد بن مكرم بن علي، ابن منظور المصري. (ت: ٧١١هـ). ط٣، دار صادر، بيروت، (١٩٩٣م).
- مجموع الفتاوى. أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية. (ت: ٧٢٨هـ). جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف: المدينة المنورة، (١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م).

- مدارج السالكين. أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب، ابن قيم الجوزية. (ت: ٧٥١هـ). (د. ط)، دار الكتب العلمية: بيروت.
- مدخل إلى علوم الشريعة. عبد الرحمن بن عبد العزيز العقل. (د. ط)، مركز النخب العلمية: (د. ت).
- مراعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح. عبيد الله بن محمد عبد السلام المباركفوري. (١٤١٤هـ). ط٣، إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء - الجامعة السلفية: بنارس الهند، (١٤٠٤هـ/١٩٨٤م).
- مصطلح الحديث. محمد بن صالح العثيمين. (ت: ١٤٢١هـ). ط١، مكتبة العلم: القاهرة، (١٤١٥هـ/١٩٩٤م).
- معتقد أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات. محمد بن خليفة التميمي. ط٢، دار قرطبة، بيروت، (٢٠١٦م).
- معجم اللغة العربية المعاصرة. أحمد مختار عمر. (١٤٢٤هـ). بمساعدة فريق عمل، ط١، عالم الكتب: الكويت، (٢٠٠٨م).
- المعجم الوسيط. نخبة من اللغويين بمجمع اللغة العربية بالقاهرة. ط٢، مجمع اللغة العربية: القاهرة، (١٩٧٢م).
- المفاتيح في شرح المصابيح. الحسين بن محمود بن الحسن، مظهر الدين، المشهور بالمظهري. (ت: ٧٢٧هـ). تحقيق ودراسة: لجنة مختصة من المحققين، ط١، دار النوادر، وهو من إصدارات إدارة الثقافة الإسلامية - وزارة الأوقاف الكويتية: (١٤٣٣هـ/٢٠١٢م).
- المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم. أبو العباس أحمد بن عمر القرطبي. (ت: ٦٥٦هـ). تحقيق: محيي الدين ديب ميستو، وآخرين، دار ابن كثير: دمشق، بيروت، ط١، دار الكلم الطيب: دمشق، بيروت، (١٩٩٦هـ/١٤١٧م).
- مقاييس اللغة. أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا. (ت: ٣٩٥هـ). تحقيق: عبد السلام هارون، ط٢، شركه مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده: مصر، (١٣٩٠هـ/١٩٧٢م).
- منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية. أحمد بن عبد الحليم، ابن تيمية. (ت: ٧٢٨هـ). ط١، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية: (١٤٠٦هـ/١٩٨٦م).
- مواقف الطوائف من توحيد الأسماء والصفات. محمد خليفة التميمي. ط١، دار قرطبة: بيروت، (١٤٣٧هـ/٢٠١٦م).
- الوابل الصيب من الكلم الطيب. محمد بن أبي بكر بن أيوب، ابن قيم الجوزية. (ت: ٧٥١هـ). تحقيق: سيد إبراهيم، ط٣، دار الحديث: القاهرة، (١٩٩٩م).